الدولة العربية الاسلامية

الخلافة الاموية

٤١هـ - ١٣٢هـ

تأليف

الاستاذ الدكتور

رشيد عبد الله الجيلي

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

اعداد وترتيب / الاستاذ محمد

حاتم فياض الزوبعي

https://t.me/m2006hf

الدولة العربية الإسلامية

(الخلافة الأموية)

٤١هـ - ١٣٢هـ

تأليف

الأستاذ الدكتور

رشيد عبد الله الجميلي

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر الميامين. وبعد فان مفردات هذا الكتاب قد جاءت وفقاً المنهج المقرر على طلبة اقسام التاريخ بكليات التربية في المرحلة الثانية ويتناول عصر الخلافة الأموية من جميع جوانبها السياسية ومنجزاتها الحضارية والادارية ، كما أكدت مفردات الكتاب على اهتمام خلفاء بني أمية بتواصل حركة التحرير والفتوح الاسلامية في اقاليم المشرق والمغرب . وعبور العرب المسلمين الى الاندلس . كذلك تناول الكتاب دراسة التطورات التي حدثت خلال هذا العصر على صعيد الادارة وشؤون الحكم وحركة التعريب التي شملت النقود ودواوين الدولة كافة ، هذا بالاضافة الى الاحداث المهمة التي ظهرت على الساحة السياسية وموقف الخلفاء الأمويين أزاءها وتأثير ذلك على أوضاع الدولة العربية الاسلامية ، وقد أنهيت الكتاب بأستعراض العوامل التي اسهمت بسقوط الخلافة الأموية والعناصر التي أخذت على تطورها .

وارجوا ان أكون قد وفقت في تحقيق بعض ماكنت اهدف اليه من هذه الدراسة والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق

والحمد الله رب العالمين

أ.د. رشيد عبد الله الجميلي

بغداد في آب ١٩٩٩

مصادر تاريخ الدولة العربية الاسلامية

مصادر تاريخ الدولة العربية الاسلامية

تتوفر للباحث في تاريخ الدوله العربيه الاسلاميه في عصورها المختلفة الكثير من المصادر العربية المتنوعة و هي إما وثائق أثريه قديمه كالوثائق الرسميه المكتوبه والوقفيات و اوراق البردي أو آثار معمارية أو نقوش كتابية على الآثار أو العملات وأما مصنفات علمية مدونة مخطوطة ومطبوعة تتناول موضوعات في التاريخ والسير و الفتوح و الغزوات او مصنفات في الادب وكتب في البلدان والرحلات و الجغرافية وفي موضوعات عديدة أخرى بعضها لا يعد من صميم التاريخ إلا أنها تعد مصادر مهمة في تدوين أحداث التاريخ العربي قبل الاسلام و بعده نظراً لما تضمنته هذه المصادر من معلومات غزيره عن تلك الفترة[١].

١– سالم (عبد العزيز) ، التاريخ والمؤرخون العرب - الاسكندرية ١٩٦٧، ص١٨

اولا: الوثائق الأثرية القديمة :

أ - الوثائق الرسمية المكتوبة :

تعد الوثائق من العلوم الاساسية لدراسة التاريخ، وتشمل المستندات المعاصره للتاريخ الذي تكتب فيه كالكتابات الرسمية أو شبه الرسمية كالأوامر والقرارات والمعاهدات والمحالفات والاتفاقيات والمراسلات السياسية والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة و عقود البيع و الشراء و الاحكام والفتاوى و غير ذلك و هي اما تصدر عن الدواوين أو فروع الادارة في الدولة كديوان الانشاء و الرسائل الذي كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة عن الخلفاء أو الملوك أو السلاطين او تكون عقود فردية كالعقود الشخصية وتعتبر المستندات أهم انواع الوثائق الرسمية باعتبارها أوثق مصادر التاريخ والاقتصادي على الاطلاق . وكانت هذه الوثائق تحفظ في ديوان الانشاء الذي تصدر عنه معظم أوراق الدولة الرسمية ويحفظ الوارد منها في أضابير توضع عليها بطائق خاصة تودع في مخزن خاص . وقد كتبت بعض هذه الوثائق بلغات الشعوب التي دخلت بلادها ضمن اقاليم الدولة العربية الاسلامية خلال عصر الخلفاء الراشدين الذين تركوا النظم الادارية والمالية فيها على ما كانت عليه بسبب انشغالهم بحركة التحرير التي استهدفت إنهاء الاحتلال الفارسي و البيزنطي لأقاليم الوطن العربي ، واداء المهمة الملقاة على عاتق العرب في تبليغ رسالة الاسلام واقرار العدل والمساواة وقد تم تعريب دواوين الدولة العربية كافة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) . وقد وصلت الينا بعض المستندات والوثائق العربية ومعظمها يقتصر على الأمور التي تتعلق بالادارة وأقلها (البردية) التي تتناول نصوصها بعض النظم الاجتماعية و الاقتصادية كالجزية والخراج والتعيين في مناصب الدولة والادارة وطرق التجارة واعمال البناء والتعمير وانشاء الاساطيل وعقود الزواج والبيع والشراء والتنازل ولهذا فان الوثائق البردية تحتل أهمية خاصة باعتبارها مصدرا صادقا لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية. وقد تنبه المستشرقون إلى أهمية هذه الأوراق منذ أن قام المستشرق سلفستر دي ساسي بنشر مقال عن ورقتين من البردي مكتوبتين باللغة العربية في صحيفة العلماء الصادرة في باريس سنة ١٨٢٥م منشط البحث عن المزيد من أوراق البردي في الفيوم وأماكن متعددة من محافظة اسيوط في مصر وقد اشتملت هذه الوثائق على معلومات هامة تتعلق بحالة المجتمع المصري والادارة في عهد الولاة. اما الوقفيات أو (الأحباس) فيقصد بها الوثائق التي تتعلق بنظام تحفظ العقار من التبديد وتخصيص دخله لأسرة مؤسس الوقف حسب الأنصبة التي يحددها في الوثيقة أو تخصيصه لمؤسسة دينية . ويستفاد من وثائق الوقفيات الاطلاع على عقود البيع والشراء والاستبدال وبيان الأبنية الموقوفة أي التي يخصص لها وقف معيين

وتعتبر هذه الوثائق من أهم المصـــادر التى يجب الرجوع اليها عند دراســـة الآثار المعمارية والمنشـآت ، بالاضـافة إلى المصـطلحات السـائدة في العصـر الاسـلامى، سواء كانت معمارية او قانونية أو إدارية وما تجدر الاشارة اليه انه كان للأحباس أو الأوقاف ديوان خاص في العصر الأموي يتولاه قاضي ينظر فيها خوفا من ضياعها والحيلولة دون تجزئة الوقف بسبب الأرث .

ب الكتابات الأثرية أو النقوش :

تعتبر النقوش الكتابية الأثرية من أهم مصـــادر التاريخ بوجه عام والاســـلامي بوجه خاص وتأتي بعد الوثائق السياسية في الأهمية التاريخية نظرا لما تتضمنه من اخبار تعد مادة اساسية للتاريخ والحضارة فبفضل النقوش الكتابية أمكن تصحيح الكثير من الاخطاء التاريخية التي وقع فيها بعض المؤرخين وكشـف الحقائق التاريخية التي لم تكن معروفة . أن أهمية النقوش الأثرية تأتي من معاصـرتها للاحداث التي تسـجلها وعدم تحيزها لأسرة ضد أسرة شأن الوثائق والكتب التي قد يتحيز مؤلفوها لطرف ضد آخر ، في حين أن الكتابات الأثرية تتضمن تواريخا صحيحة واعلاما يقل فيها التحريف والتصـــحيف ، فالنقوش الكتابية التي تدور حول قباب المحراب والبهو بجامعتي القيروان وتونس والكتابات التي تطالعها على الاسـوار والقلاع والقصـور والمساجد في العراق ومصر والشام والمغرب تتضمن تواريخا ثابتة

لهذه المنشأت كما تتضمن في كثير من الاحيان اسماء مؤسسيها من الخلفاء والأمراء والسـلاطين، وفي بعض الأحيان اسـماء العرفاء و المهندسـين الذين اشـرفوا على انشائها وهي أمور غفلت الوثائق التاريخية عن ذكرها على هذا النحو من الدقة .

ولا تقتصـر أهمية الكتابات الأثرية على النواحي السياسية فحسب بل تتجلى أهميتها في الأمور الدينية والاقتصـادية أيضـاء و على الرغم من أن هذه الكتابات ينقصـها التنوع ويكثر فيها التكرار إلا أنها تعتبر مصدرا مهما للباحث في التاريخ الإسلامي، مما دفع المسـتشـرقين على الاهتمام بالنقوش العربية اهتماما خاصـا فصـنفوا فيها الكتب و التواليف واهتموا بجمعها وترتيبها وفي مقدمة من اشـــتغل بعلم الكتابة الاثرية العربية (Arabic Epigraphy) المستشرق السويسري : فاكس فان برشام وموادمون فاتيو ، واتيين كومب، وجاستون فيت، وليفي بروفنسال ، وجان سوفاجية

ج العملات أو السكة :

تعد العملات وثائق هامة في تأكيد أو نقض الكثير من المعلومات التي وصـــلت عن طريق المدونات التاريخية المختلفة ، حيث أن معظمها قد يكون مخالفا للواقع لانها متأخرة نسبيا أو جاءت عن طريق السماع كتحديد زمن حكم بعض الخلفاء والملوك أو تثبيت تاريخ الثورات أو انقضـائها وغير ذلك من الاحداث السـياسـية . كما يمكن الاعتماد على العملات في استنباط الحقائق سواء ما يتعلق منها بالاسماء أو بالنقوش

أوبالعبارات الدينية المنقوشة أو الألقاب التي ينعم بها الخلفاء على الامراء والسلاطين .

وبالنسبة للعملة العربية الإسلامية فان اقدم ما وصل الينا مسكوكات(فلوس نحاسية) مضروبة على الطراز البيزنطي أي مشابهة للمسكوكات البيزنطية المعاصرة لها ، مؤرخة في سنة ١٧هـ . ٦٣٨م عليها اسم الخليفة عمر بن الخطاب (رض)والواقع لم تعرف عملة عربية صرفة إلا في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي قدر أن العملة بالاضافة إلى قيمتها الاقتصادية وسيلة للاعلان عن سيادة الدولة العربية بما هو منقوش عليها من عبارات دينية ، فضلا عن أنها اعلان لشرعية حكم الخليفة بنقش اسمه عليها ، لذلك أمر عبد الملك بن مروان بتعريب العملة كجزء من سياسة عامة لتعريب كل أجهزة الدولة العربية الإسلامية[٢]واضافة الطابع القومي العربي فيها وتعتبر الكاني والألقاب التي بدأ طهورها بشكل قليل خلال العصر الأموي ثم ازدادت وتطورت في العصر العباسي على جانب عظيم من الأهمية ، إذ أنها توضح ميول الحكام والولاة وتطلعاتهم السياسية وعلاقاتهم بالدولة المركزية وولائهم للخلافة ، كما تلقي الضوء على الاحداث السياسية والاجتماعية خلال المسيرة العامة لتاريخ الدولة العربية وقد أدى تنوع وكثرة النقود والمسكوكات العربية وتعدد اشكالها إلى اهتمام العلماء والباحثين بدراستها ومن الرواد الذين تصدروا لدراسة النقود خلال النصف الأول من القرن الحالي : الاب انستاس ماري الكرملي ، الذي وضع كتابا في عام ١٩٣٩ بعنوان : النقود العربية وعلم النميات جمع فيه اهم ما كتبه الؤرخون العرب امثال : المقريزي في شذور العقود في ذكر النقود واغاثة الامة بكشف الغمة والبلاذري في " فتوح البلدان والبيهقي في المحاسن والمساوى وابو المحاسن في النجوم الزاهرة وابن خلدون في المقدمة والقلقشندي في صبح الأعشى وقد اضاف الكرملي تفسيرات كثيرة وتعليقات مهمة لاسماء الرجال و الموت والألقاب الواردة في التقويل ، والمواد التي تتخذ منها النقود والموازين والمكاييل والمقاييس والأثمان ، مما يكشف النقاب عن كثير من الحقائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

٢– لقد اطلق على العملة التي صنعها العرب اسم السكة وهي كلمة تدل على خاتم الحديد الذي تطبع عليه العملة أو تضرب بالمطرقة ولذا فإن لفظة السكة اطلقت على العملة وعلى الدار التي تصنع فيها فسميت دار السكة ودار الضرب ولم تعد الدولة الحديد الذي تطبع عليه العملة أو تضرب بالمطرقة ولذا فإن لفظة السكة اطلقت على العملة وعلى الدار التي تصنع فيها فسميت دار السكة ودار الضرب ولم تعد الدولة العربية تكتفي بدار مكة واحدة في العاصمة وانما بدور للسكة متعددة في جميع أقاليمها ، حتى أن لفظة السكة انتقلت بعد ذلك إلى اللغات الأخرى . النظر الماوردي ، الاحكام السلطانية و ابن خلدون في المقدمة

ء– الآثار المعمارية :

تعتبر الآثار الباقية سواء الثابتة منها كالعمائر والمنقولة كالتحف وأدوات الزينة من اهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخون في كتباتهم التاريخية ، ذلك لان الوثائق المكتوبة وحدها لا تكفي لها الغرض اما لندرتها أو التناقض ما جاء فيها ، أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والاساطير. والواقع أن الآثار تعتبر سجلا تاريخيا حيا للاعمال التي قام بها الولاء والأمراء في العصور الاسلامية المختلفة وشاهدا ماديا ماثلا للحضارة العربية . فمن خلال الآثار وقفنا على ما وصل اليه الفن والصناعات في المجال الحضاري ويتجلى ذلك بوضوح في المساجد والقصور والقلاع والقناطر وغيرها كما يمكن للباحث أن يلاحظ التأثيرات الحضارية من قطر لآخر ويظهر ذلك بوضوح في جامع ابن طولون في مصر حيث التأثيرات الفنية العراقية ، وكذلك التأثيرات الاندلسية في مسجد القرويين بمدينة فاس. وعليه فإن دراسة الآثار المعمارية اصبحت ضرورة لازمة لدراسة التاريخ الإسلامي التاريخ العمراني والعسكري ، ومازالت الآثار المعمارية العربية الإسلامية في سائر انحاء الوطن العربي ومناطق أخرى من العالم تعبر عن الدور الكبير الذي قامة العرب في الحضارة والعمران .

ثانيا – المصنفات المدونة :

١– القرآن الكريم : يعد القرآن الكريم أقدم المصادر العربية الاسلامية المدونة وأصدقها على الاطلاق، لأنه تنزيل من الله تعالى لاسبيل إلى الشك في صحة نصه ، وقد تضمنت آياته ذكر لبعض مظاهر حياة العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مرحلة ما قبل الاسلام كما وصفت تفكيرهم وعقائدهم، وورد في القرآن الكريم أخبارا مختصرة عن القبائل العربية التي بادت وانقرضت مثل عاد و ثمود وحادثة السيل العرم انهيار سد مأرب – واصحاب الفيل – حملة ابرهة على مكة – واصحاب الاخدود – حملة ذو نواس ضد نصيمارى نجران – وقصص الانبياء والرسل ، أوردها كعبرة وموعظة للمعارضين من العرب للاسلام ، وتذكيرا لما اصاب الذين كذبوا المرسلين من قبلهم[٣] ، وقد اثبتت الحقائق التاريخية والكشوف الاثرية صحة ماجاء في القرآن الكريم من اخبار قبائل العرب البائدة ودقتها وفي العصر الإسلامي تظهر أهمية القرآن الكريم التاريخية من خلال مواكبته لتطور مراحل الدعوة الاسلامية وتوضيح دور النبي محمد عليه الصلاة والسلام في نشر مبادىء الدين الاسلامي ووضع الاسس القويمة للمجتمع الجديد ، فكانت كل سورة من سور القرآن تشير إلى حادثة معينة في حياة الرسول الكريم[٤]

٣– هيكل ، حياة محمد ، ص ١٨، ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ص ١٨

٤– اليعقوبي ، تاريخ ج ١ ص ١٣٥ ، السيوطي، تاريخ الخلفاء ص ٧٧ .

وقد تم جمع القرآن الكريم في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) ، فقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب (رض) حين رأى ان القتل قد كثر في الصحابة خلال حروب الردة قال لابي بكر ((ان القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن يوم اليمامة ، واني اخشى ان يستمر القتل بالقراء فيذهب من القرآن كثير وإني أرى أن تأمر بجميع القرآن فأمر أبو بكر (رض) زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع والحسب وصدور الرجال)) وحفظت الصحف عند أبي بكر ثم انتقلت إلى عمر بن الخطاب ، فلما توفي حفظتها ابنته حفصة وفي خلافة عثمان بن عفان لاحظ الصحابة اختلاف المسلمين في الامصار في قراءة القرآن فاخبروا الخليفة بذلك، فأسرع بتشكيل لجنة ضمت زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، للقيام بكتابة نسخ من القرآن الكريم معتمدا في ذلك على النسخة المحفوظة لدى حفصة بنت عمر ، وتم توزيعها على الامصار

(٢) **الحديث** : يقصد بالحديث أقوال النبي عليه الصلاة والسلام وأفعاله التي نقلت عنه في مناسبات عديدة بالرواية الشفوية ، أو من صحائف قديمة دونت فيها ، ويعتبر الحديث المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بما تضمنه من احكام وقوانين للمجتمع الاسلامي ، كما أنه[٥]من أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم لتدوين اخبار الحقبة الزمنية القريبة من الاسلام، وكانوا المسلمون الأوائل قد تجنبوا بأمر من رسول الله عليه الصلاة والسلام تدوين الحديث حتى لا ينشغلوا بشيء غير كتاب الله وظل الأمر على هذا الحال حتى خلافة عمر بن عبد العزيز حيث تم جمع وتدوين الأحاديث الصحاح بأمر منه[٦]. ويعتبر الحديث أصح المصادر في تاريخ القرنين الأولين في الإسلام بسبب الدقة التي اتبعت في نقله ، فقد كانت الاحاديث تروى عن طريق سلسلة الحفاظ أو ما يعرف بالسند أو الاسناد حتى تصل إلى النبي علية الصلاة والسلام أو السلف الأول من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين[٧]، وهو مايسمى بعلم (الجرح والتعديل) ، أو علم الرجال ، وهو علم دقيق ، ويمكن للباحث الاعتماد على المجموعات الصحاح في الحديث . كالجامع الصحيح للبخاري ت ٢٥٧هـ ، وصحيح مسلم ت ٢٦٢ هـ وسنن أبي داودت ٢٧٥ هـ وسنن الترمذي جليل القدر عظيم الفائدة ، يهدف إلى خدمة السنة والكشف عن أحوال رواتها واحدا واحدا، وتميز الصادق من الكاذب ، والضابط من الواهم ، والموثوق بروايته من الملعون فيه

٥– ابن الأثير ، الكامل ج ٢ ص ١١١ – ١١٢ .

٦– السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٧.

٧– حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج[١] ص ٤٢٣ .

٢٧٩ هـــ ، وموطأ مالك : ت ١٧٩، وابن ماجة ت ٢٧٣هـــ وهناك شروحا عديدة البخاري ومسلم ، منها : النووي ت ٦٦٧ هـــ، وكتابه شرح صحيح مسلم، على هامش كتاب السقلاني : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، العسقلاني : ٥٢٨: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، والعيني ٨٥٥ هـ : عمدة القاريء في شرح صحيح البخاري .

٣ـ كتب التفسير :

تضمن كتب التفسير شروحا مفصلة لما ورد في القرآن الكريم من اخبار مختصرة عن بعض الأحداث في العصر السابق للإسلام وعصر النبوة ، أو تفسير ما أطلق على المسلمين فهمه من معاني القرآن الكريم وتعابيره ، وقد نشا علم التفسير في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم تولى الصحابة من بعده هذه المهمة[٨] ، باعتبارهم الواقفين على اسراره المهتدين بهديه ومن اشهر المفسرين من الصحابة : علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود ، وبن كعب (رضي الله عنهم) . ويأتي بعدهم زيد بن ثابت ، أبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير .ومما ساعد هؤلاء الصحابة على الاجتهاد في التفسير قوتهم في اللغة العربية واحاطتهم بمعانيها وأساليبها ، ومخالطتهم النبي صلى الله عليه وعم تخرجهم من أن يجتهدوا ويقروا ما اداهم اليه اجتهادهم ، يستثنى من ذلك ابن عباس ، فانه استعاض عن ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه بملازمة علماء الصحابة يأخذ عنهم ويروي لهم[٩] وعن الصحابة أخذ التابعون وعن التابعين أخذ تابعوا التابعين ، فجمعوا القوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير[١٠] .

من الشهر كتب التفسير : التفسير التاريخي المعروف بتفسير الطبري ت ٣١٠ هـــ الموسوم جامع البيان في تفسير أي القرآن وتفسير ابن كثير الدمشقي ٧٧٤ هـــ ، وهذه عرفت بكتاب التفسير بالمأثور ، اما كتب التفسير بالرأي فالشهرها ، تصير الرازي ت ٦٠٦ هـــ. المسمى مفاتيح الغيب ، ومنها تفسير البيضاوي الموسوم : أنوار التنزيل نوال التأويل ، وتفسير ابي السعود ، وتفسير النسفي ، وتفسير الخازن ، والتفسير المعروف بتفسير الزمشخري ٥٣٨ هـ المسمى حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل[١١].

٨– سالم دراسات في تاريخ العرب ص٢٤
٩– احمد امين فجر الاسلام من ٢٠٢ – بيروت ١٩٦٩.
١٠– صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن الكريم من ٣٢١ – ٣٣٣ – دمشق ١٩٩٦
١١– المرجع نفسه ، مباحث في علوم القران الكريم من ٣٣٦ سالم ، دراسات ،ص٢٤،٢٥

٤-كتب السير والمغازي والفتوح :

اسهمت كتب السير والمغازي والفتوح في تطور علم التاريخ . واصبحت اساس الكتابة التاريخية عند العرب فقد كان علم التاريخ يقوم على دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة ، واخبار الغزوات وحروب التحرير التي خاض العرب غمارها ضد الفرس والروم، وحركة الفتوح العربية الإسلامية في المشرق والاندلس وفي مقدمة الكتب التي تناولت سيرة الرسول الكريم الكتاب الموسوم بـ (سيرة ابن هشام) أو (سيرة سيدنا محمد رسول الله)لابي محمد عبد الملك بن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هـ وهو أول كتاب تاريخي متصل عن سيرة النبي الكريم و تاريخ العرب قبل الاسلام اعتمد فيه مؤلفة على الرواية الشفوية . وعلى كتب ضاعت أهمها كتاب : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابي عبدالله محمد بن اسحق (ت ١٥١ هـ) الذي كان أول من ألف في السيرة النبوية بناء على طلب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وقد أضاف ابن هشام إلى السيرة النبوية بعض الروايات التي لم يذكرها ابن اسحق[١٢] .

اما كتب المغازي والفتوح فيعتبر عروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) أقدم من كتب في المغازي وقد وصلتنا بعض رسائله في مؤلفات الواقدي والطبري ويأتي بعد عروة بن الزبير ، إيان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣ هـ) والواقدي (ت ٢٠٧ هـ) ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) ومن كتب الفتوح أيضا كتاب : فتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) وفتوح مصر والاندلس لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ)[١٣].

ه ــ كتب الطبقات والانساب :

يقصد بكتب الطبقات الكتب التي عالج مؤلفوها سيرة طائفة معينة من القضاة أو الفقهاء أو الادباء والشعراء والاطباء جيلا بعد جيل أو طبقة بعد طبقة ، اما كتب الانساب فتجمع تراجم انساب الاشراف من العرب. ومن امثلة كتب الطبقات كتاب الطبقات الكبير أو طبقات ابن سعد لمؤلفه محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) وهو اشبه بدائرة معارف لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، وسيرة الخلفاء الراشدين والأمويين والصحابة وغيرهم حتى عهده وكان ابن سعد معاصرا للواقدي فأخذ الكثير عنه ، واعتمد على كتابه المعروف بطبقات الواقدي[١٤]

١٢– عبدالعزيز سالم ، التاريخ والمؤرة .....

١٣– ماجد التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ص ٢٢ ٢٤.

١٤– المرجع نفسه ، التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ص ٢٥

ومن كتب الانساب أيضا : كتاب انساب الاشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ هـــ) وهو كتاب كبير بحث فيه مؤلفه تاريخ أشراف العرب قبل الاسلام وبعده حتى عصره ، وتوجد نسخة كاملة من هذا الكتاب مخطوطة فى اسطنبول . وقد قام الاستاذ محمد حميد الله بنشر الجزء الأول منه فى سلسلة (ذخائر العرب) ، بدأ البلاذرى كتابه بذكر نسب نوح عليه السلام . ثم يصل إلى عدنان ويتدرج بعد ذلك نزولا إلى ذكر اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته حتى وفاته والى جانب هذين الكتابين هناك العديد من كتب الطبقات والتراجم الخاصة بالادباء والاعيان والامراء والعلماء والفقهاء والقضاة نذكر منها

١-وفايات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، لابن خلكان (شمس الدين ابو العباس) .

٢ – فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ .

٣ – أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الاثير (علـــي بـن محمـد) ت٦٢٠هـ

٤-عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ابن أبي أصيبعة (موفق الدين ابو العباس) .

٥- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني (محمد بن علي) .

٦- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين) ..

٧-الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، السخاوي (شمس الدين محمد) ت ٩٠٢ هـ

٨- لواقح الانوار في طبقات السادة الاخيار (الشعراني عبد الوهاب)

٩- طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) ت ٧٧١ هـ .

١٠- تاريخ علماء الاندلس ، ابن الفرضي (ابو الوليد عبدالله بن محمد) ت ٤٠٢ هـ

١١- الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وادبائهم ابن بشكوال ابو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٧٠٨ هـ .

١٢-كتاب صلة الصلة في تراحم اعلام الاندلس،ابن الزبير(ابوجعفراحمد)ت ٧٠٨ هـ

١٣- كتاب التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار ابو عبدالله محمد القضاعي) ت ٦٥٨هـ

١٤- تاريخ القضاة بقرطبة الخشني (محمد بن حارث) ت ٣٦١ هـ .

١٥- تاريخ قضاة الاندلس المسمى : المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، النباهي " ابو الحسن بن عبد الله "

٦-كتب التاريخ العام :

امتازت الكتابة التاريخية للعرب المسلمين عن الكتابات التاريخية الأخرى بميزات عديدة جعلت التاريخ العربي الاسلامي أصلا مستقلا عن غيره ، فقد نشأ نشأة طبيعية أصيلة ، إذ خص القرآن الكريم علي حين قدم اشارات عن الأمم والقبائل والانبياء والرسل ، مما دفع العلماء المسلمين للبحث عن تفاصيل هذه الاشارات والعمل على شرحها وتوضيحها . فبرز عن هذا الطريق أوائل الاخباريين الذين وضعوا التصانيف في تاريخ العرب .

وقد أتبع المؤرخون العرب في كتابة التاريخ منهجا فريدا بين المناهج التي عرفها العالم في العصر الوسيط ، فوضعوا الكثير من المبادىء التي التزمها وأخذ بها المنهج العلمي الحديث في كتابة التاريخ والذي يقوم على جمع المادة التاريخية وفحصها وتحري اصولها ونقدها وعرضها عرضا علميا مترابطا يتضمن تحليلا للأحداث ، وربط الاسباب والنتائج . وتناول معظم مؤرخي العرب التاريخ بنزاهة واخلاص ، فامتنعوا عن التزلف لذوي الجاه والسلطان ، ورفضوا تناول صلات الامراء تحاشيا لمحاباتهم ، فكانوا يعيشون من موارد خاصة بهم ، أو يمتهنوا اعمالا تدر عليهم ما يقيمون به أود حياتهم ، وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين محمد بن جرير الطبري الذي يعرف بنزاهة وامتناعه عن قبول صلات الخلفاء والوزراء مكتفيا بايراد الضيعة التي خلفها له أبوه في طبرستان ومسكويه الذي عاش في قصور سلاطين آل بويه ، الا أنه لم يتزلف اليهم أو يحابيهم ، فروى اخبارهم دون اي محاولة لاخفاء جرائمهم منددا بسوء سياستهم خصوصا معز الدولة ، كما نوه مسكويه بشجاعة وبطولة أبي الهيجاء الحمداني الذي كان من اعداء البويهيين

وكذلك المؤرخ أبي الريحان البيروني الذي أهدى كتابة كتابه الموسوم ب القانون المسعودي الى السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين ، فأراد الأخير أن يكافأه على ذلك وحمل له الأموال فردها اليه قائلا : أنما أخدم العلم للعلم .

والمكتبة العربية تزخر بالجم الغفير من كتب التراث العربي الاسلامي التي تشكل موردا اساسيا لتاريخ الدولة العربية الاسلامية في عصورها المختلفة اتبع مؤلفوها مناهج مختلفة في تناولهم للموضوعات فمنهم من كتب عن الاسرات الحاكمة أو الدول أو العهود ، كما اتضح ذلك لدى الدينوري في الاخبار الطوال (وأبي الوليد اسماعيل بن الاحمر في (روضة النسرين من دولة بني مرين) ، وابن الخطيب في (اللمعة البدرية في الدولة النصرية) وأبي بكر الصدفي في (الانوار الجليلة في اخبار الدولة المرابطية) وأبي شامة في الروضتين في اخبارالدولتين) وابن واصل في (مفرج الكروب في اخبار بني ايوب) . واتجه البعض الآخر من المؤلفين الى الكتابة في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين كما فعل السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ، والمقريزي في(اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا) ، والبلوي في سيرة احمد بن طولون)

وابن الداية في سيرة ابن طولون) ، وابن زولاق في سيرة الاخشيد ، وابن شداد في (سـيرة صـلاح الدين) ، والبيذق في) اخبار المهدي بن تومرت ومحيى الدين بن عبد الظاهر فى تشـريف الأيام والعصـور فى سـيرة الملك المنصـور (ومن أقدم مؤرخي العرب الذين كتبوا في تاريخ الدول والعهود المؤرخ اليعقوبي الذي كان مؤرخا ورحاله في آن واحد، وكتابه في التاريخ يقع في جزئين الاول في التاريخ القديم والثاني في التاريخ الاسـلامي، ابتدأه بمولد الرسـول عليه السـلام والسـلام ومغازيه الى وفاته وانتهى به الـــــى عصر الخليفة العباسي المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـــ ، وكتابه هذا يدور حول الاشخاص الحكام والولاة ، ومما تجدر الاشارة اليه ان معظم مؤرخي العرب الذين اتبعوا هذا المنهج يضـيفون الى العهد الذي يتناولونه بالدراسـة الحديث عن الصـفات الخلقية والجسـمية للحكام ويوردون قوائم اسماء اولادهم وموظفيهم وهناك من يضيف الى ذلك قوائم باسماء القضاة والوزراء والكتاب والعلماء والشـعراء المعاصـرين لهم ويعتبر كتاب (تاريخ الامم والملوك) لمحمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ من أهم المصادر في التاريخ العام ، جمع فيه بين تفصـيل المتكلمين وتدقيق الفقهاء وتبصـير السـاسـة في الامور . وقد اقتصـر الطبري في القسم السابق على العصر الاسلامي الحديث عن مجموعة الأخبار عن الإسرائيليات وتاريخ العرب وبلاد فارس، أما حديثه عـــــن سيرة النبي صلى الله عليه وسـلم فقد أتبع فيه منهج كتاب السـير والمغازي متتبعا الأحداث التي مرت بها الدولة العربية الإســلامية منذ الهجرة النبوية وفقاً للترتيب الزمني مع الاهتمام بذكر سلسلة الإسناد في الروايات المختلفة متبعاً في ذلك منهج التأريخ الحولي

ثم يأتي بعده كتاب " العقد الفريد" لأبي عمر بن عبد ربه ت ٣٢٧ هـ الذي تناول فيه أخبار العرب قبل الإسـلام وفي العصـر الإسـلامي مع عرض موجز لسـير الخلفاء الأوائل، وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي ت ٣٤٦ هـ الذي يعتبر موســوعة تاريخية وجغرافية، حيث لم يقتصــر فيه المســعودي على دراســة الموضـوعات المألوفة عند المؤرخين السابقين والمعاصـرين له، بل تطرق إلى ذكر قصـة خلق العالم ووصـف طبيعة الأرض ودراسة تاريخ الشعوب الأعجمية، وبحث في تاريخ العرب قبل الإسـلام مؤكداً على العناصـر الحضـارية خلال تلك المرحلة، كما تناول بإيجاز السـيرة النبوية، وأبدى اهتماماً خاصـاً بتاريخ الخلفاء متتبعاً منهج الترتيب الزمني. وللمسـعودي كتاب آخر هو : التنبيه والإشـراف" ضـمن آراء في فلسـفة التاريخ والكون، واهتم بوجه خاص بوصـف البلدان المختلفة وبالإضـافة إلى هؤلاء المؤرخين جاءت طائفة أخرى حذوا حذوهم نذكر منهم: حمزة الأصفهاني في مؤلفه الموسـوم: تاريخ سـني ملوك الأرض والأنبياء، الذي أبدى فيه اهتماماً خاصـاً بأخبار خراسان وطبرستان[١٥]

١٥– سالم التاريخ والمؤرخون العرب ها ، ١٩ –٢٠.

ثم قسطنطين المنبجي في كتابه (العنوان)الذي تناول فيه جغرافية العالم وتاريخ بني اسرائيل واليونان والروم ، كما تعرض لتاريخ العرب ، وقد استفاد المنبجي كثيرا من الاخبار الواردة في الحوليات البيزنطية . وسعيد بن البطريق في مؤلفه الموسوم : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق الذى اكمله يحيى بن سعيد الانطاكي بعد مضي ما يقرب من قرن على تأليفه ووضع له العنوان التالي : صلة كتاب سعيد بن بطريق . اتبع : فيه منهجه التاريخي ، ، غير انه كان اكثر وعيا في تفهم التاريخ العام. ثم يأتي كتاب : تجارب الامم لمسكويه ت ٤٢١ هـ معبرا عن خبرة بشؤون السياسة وادراك كامل وتفهم شامل للتاريخ . فاقتصر كتابه على عرض سريع لعصر النبوة دون التعرض للتاريخ الديني . وبدأ كتابه بملوك الفرس ثم تعرض الى البابلين والاغريق والروم والعرب قبل الاسلام ، ومن مؤرخي القرن الخامس الهجري أيضا الثعالبي ت ٤٢٩ هـ الذي اعتمد اعتمادا خاصا على الطبري في القسم الخاص بالتاريخ الاسلامي حتى عصر الخلافة العباسية متبعا في ذلك منهج التاريخ حسب عهود الخلفاء .وشهد القرن السادس الهجري جمهرة من المؤرخين الذين أغنوا المكتبة التاريخية بمؤلفاتهم الموسوعية الهامة ، نذكر منهم المؤرخ عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ الذي ألف العديد من الكتب يأتي في مقدمتها كتابه الشهير : المنتظم في تاريخ الملوك والامم (وشذور العقود (الذي لخص فيه كتابه السابق ، وتعرض فيه الى جغرافية العالم وتاريخ بني اسرائيل حتى عصر السيد المسيح عليه السلام ، وتاريخ الفرس وغيرهم ، واستعرض أحداث التاريخ العربي الاسلامي بايجاز متبعا منهج التاريخ الحولي .

اما كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير ت ٦٣٠ هـ فيعتبر أحسن ما صنف من كتب التاريخ العالمي والاسلامي على نسق الحوليات ، حرص فيه على حفظ التوازن بين اجزاء تاريخه المختلفة ، كما بذل جهدا عظيما في مراعاة التوازن بين الاحداث في مختلف انحاء الدولة العربية الإسلامية وحين يقترب من عصره يحاول تفصيل الاحداث التاريخية دون اخلال بنسبة المادة التي يوردها في مؤلفه ويدخل ضمن هذه الطائفة من المؤرخين أيضا المؤرخ سبط ابن الجوزي ت ٦٥٤ هـ وكتابه : مرآة الزمان " الذي تجلى فيه غزارة العلم والدقة والتحري .

ثم ظهرت في القرن الثامن الهجري مجموعة من المؤلفات التاريخية وضح فيها الاتجاه الديني ، حيث اهتم مؤلفوها بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وبدعوا مؤلفاتهم بالسنة الأولى للهجرة ويعبر عماد الدين ابو الفدا اسماعيل المعروف بابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ عن هذا الاتجاه بوضوح في مؤلفه الموسوم : "البداية والنهاية " والفقيه ابن أبي الدم في مؤلفه (تاريخ الاسلام) وهناك مؤلفات تاريخية محلية عبرت عن ارتباط المؤرخ بوطنه واعتزازه بمدينته او بلده ، وأقدم أمثلة التأليف فى هذا النوع من الكتابة ترجع إلى العراق حيث ظهر كتابان أحدهما عن تاريخ بغداد لأحمد بن ابى طاهر طيفور وولده عبد الملك، والثاني عن تاريخ

الموصل لأبي زكريا الأزدي وقد بقيت من هذين الكتابين في القرنين الثالث والرابع الهجري اقسام كبيرة وذكر ابن حزم ثلاث كتب فى خطط البصرة وقطائعها، وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها كما ذكر كتابا عن الكوفة لعمر بن شبه.

وهناك كتاب آخر عن الموصل لسعيد ومحمد بن هاشم الخالدي اقتبس منه ابن العديم في كتابه: بغية الطلب في تاريخ حلب، أما فيما يختص بالكتب التي صنفت عن مصر فيأتي في مقدمتها كتاب تاريخ مصر وفضائلها لأبي محمد الحسن بن زولاق ت ٢٨٧ هـ الذي اهتم بذكر أخبار مصر القديمة وكتاب محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي ت ٤٢٠هـ الذي ذيل له محمد بن علي بن يوسف بن ميسر ت ٦٧٧هـ في كتابه عن تاريخ مصر غير أن أبرز المؤلفات عن تاريخ مصر هو كتاب: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ت ق ٩هـ وكتاب الدر المنظوم فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم. لعلي بن داود الجوهري وكتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ وفي الشام ظهرت أقدم أمثلة الكتابة في التاريخ المحلي منذ القرن السادس الهجري، فقد خصص ابن القلانسي ت ٥٥٥ هـ كتابه ذيل تاريخ دمشق عن تاريخ هذه المدينة وما يدور حولها من أخبار، ثم ظهرت مؤلفات أخرى عن مدن الشام وخاصة في تاريخ حلب مثل كتاب : زبدة الطلب في تاريخ حلب ، لابن العديم ت ٦٦٠ هـ ، الذي خصصه لتاريخها السياسي وهناك نوع آخر من التاريخ المحلي يجمع بين تاريخ الأسر الحاكمة وتاريخ المدن التي كانت تحكمها مثل كتاب : تاريخ بيروت وأمراء بني بحترلصالح بن يحيى.

اما فيما يخص اليمن فقد ظهرت عدة كتب محلية هامة منذ القرن الرابع الهجري اختلط فيها التاريخ بالدراسة العمرانية والانساب ومن أمثلة هذا النوع كتابي : الاكليل ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ت ٣٣٤ هـ ، وكتاب المفيد في اخبار زبيد العمارة اليمني الشاعرت ٥٦٩ هـ ، وقد أكمله ابن الربيع صاحب كتاب : بغية المستفيد في اخبار مدنية زبيد ت ٩٤٤هـ كتاب عن تاريخ صنعاء لأبي العباس احمد الرازي الصنعاني الذي انتهى فيه الى سنة ٤٦٠ هـ وظهر هذا النوع من المؤلفات في الاندلس من خلال الكتب التي ألفها احمد الرازي مثل كتاب : مسالك الاندلس ومراسيها وامهات مدنها واجنادها ووصف قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها وممن كتب في التاريخ المحلي الاندلسي أيضا اسحق بن مسلمة بن اسحق الليثي في اخبار المرية وحصونها ، وابن حيان في كتابه : المقتبس في ذكر الاندلس وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة المرابطية وكتاب : البيان المغرب في ذكر اخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري ويغلب على هذه المؤلفات الناحية الدينية والتراجم حيث أن معظمها يتناول تاريخ قضاة قرطبة والقيروان وتاريخ علماء الاندلس والمغرب وانساب مشاهير الرجال فيها . وهناك بعض المؤلفات التي يمكن ادراجها ضمن التاريخ المحلى الدنيوي علما بانها تتخصص فى موضوعات تتعلق بالادارة

والقضاة مثل : فتوح مصر لابن عبد الحكم وكتاب : رفع الاصر عن قضاء مصر لابن حجر وتاريخ بخارى للنرشخي.

الذي وضم التراث العربي مؤلفات استهدفت التعريف بأهمية ومكانة بعض المدن العربية الاسلامية وبيان قدسيتها ، ومن امثلتها : كتاب اخبار مكة للأزرقي ت ٢٤٤ هـ الذي افرد معظم مادته لذكر القصص التي تواترت على الناس منذ عصر ما قبل الاسلام حول الحرم الملكي ووصف الشعائر المتصلة بالحرم وكتاب الدرر الثمينة في اخبار المدينة لابن النجار الذي اقتصر على ذكر خطط المدينة مع عرض لتاريخ بيت المقدس ، وكتاب : اخبار مكة لمحمد بن اسحق الفاكهي من مؤرخي أواخر القرن الثالث الهجري ، وكتاب : شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، للتقي الفاسي (ت : ق٨ هـ

وقد اتبع المؤرخون في التاريخ المحلي الديني منهجا ميزه عن التاريخ المحلي الدنيوي ، حيث شملت مؤلفاتهم على مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وخططها ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه المقدمة كانت مطولة ثم أخذت تميل الى الايجاز ، أما مادة الكتاب فتدور حول دراسة الشخصيات التي كان لها شأن في المدينة أو القطر موضوع البحث ، وكانت هذه الشخصيات وقفا على رجال الدين في بادىء الأمر ثم تطورت بعد ذلك لتشمل كل الشخصيات البارزة في المجتمع من ادباء وعلماء وتجار واعيان ، ويرى الباحثون أن هذا النوع من التاريخ نشأ بسبب الحاجة الى الحيطة من اختلاق الاحاديث عن طريق دراسة مواطن الرواة ورجال الحديث فيها .

وأقدم المؤلفات التي تمثل هذا الاتجاه كتاب : تاريخ واسط لأبي الحسن الواسطي (ت ما يقرب من (٢٨٨ هـ) الذي يتناول تاريخ واسط واطرافها وعلماء الدين فيها ، ومنها كتاب : تاريخ قضاة قرطبة لمحمد بن حارث الخشني (ت ٢٦١ هـ) .

وفي القرن الرابع الهجري اصبحت التراجم وفقا للترتيب الابجدي الاساسي الذي تعتمده كتب التاريخ المحلي الديني وأقدم ما وصلنا من هذا النوع : تاريخ علماء الاندلس لأبي الوليد عبد الله بن الفرضي الاندلسي (ت ٤٠٣ هـ) الذي رتبت تراجمه على نظام المعاجم أي وفقا للترتيب الأبجدي ، وكذلك كتاب : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي القرن ٥هـ) الذي اتبع طريقة ترتيب المعاجم في ترتيب اسماء التراجم وقد حرص على ان تكون التراجم شاملة وان كان قد أبدى اهتماما خاصا بتراجم علماء الدين ، كما قدم الخطيب كتابه بفصل طويل أورد فيه اخبارا كثيرة عن تاريخ بغداد وتخطيطها وأهم معالمها العمرانية والواقع أن معظم مؤرخي بغداد وغيرهم من كتاب التاريخ المحلي الديني في العصور التالية اتبعوا نظام الخطيب في تاريخه المحلي فقد لفتح ابن عساكر (٥٧١ هـ) كتابه (تاريخ دمشق) بذكر اخبارها وذكر السيرة النبوية كما ان ابن العديم ت ٦٦٠ هـ) ألف كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب

على غرار تاريخ بغداد حيث قدم بفصل طويل عن جغرافية بلاد الشام الشمالية ، وقد ذيل عليه العلاء بن الخطيب الناصرة بعنوان الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لخص فيه مقدمة بغية الطلب ، وعالج اسماء حلب وبناءها وموقعها واتساع خططها ثم انتقل تحرير العرب لهذه المدينة ،ووصف مياهها وآثارها التاريخية ، ومن المؤلفات الأخرى التي عنيت بتاريخ حلب نذكر كتاب : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب" لمحب الدين محمد بن محمد بن الشحنة ، الذي اخذ فيه عن ابن شداد وابن العديم وغيرهما من مؤرخي حلب ، غير أنه لم يهتم بالتراجم وانما اهتم بالمنشأت الدينية في حلب من مساجد ومدارس مع الاهتمام بتاريخ المدينة

كتب الجغرافية :

تعتبر كتب الجغرافية ذات قيمة كبرى في تاريخ الدولة العربية لا تقل عن قيمة كتب التاريخ ذاتها ذلك لأن اغلب هذه الكتب لا يقتصر على جغرافية البلاد من وصف وتضاريس ، ولكن يعرض للحوادث ، وينقل الروايات التاريخية خصوصا وان اغلب مؤلفيها كانت لهم تصانيف في التاريخ ، وكان اتساع رقعة الدولة العربية في العصر الأموي قد دفع العرب الى الاهتمام بوصف اقاليم الدولة ومدنها وذكر مسالكها وطرقها وحاصلاتها ومناخها ، من جهة وتقدير قدرة البلاد التي خضعت للعرب على دفع الجزية والخراج فظهرت الجغرافية الادارية أو السياسية ، ويتمثل هذا النوع من الكتب الجغرافيية في كتاب : المسالك والممالك . - لابن خردوابه ت ٣٠٠ هـ ، وكتاب الخراج وصفة الكتابة لقدامة بن جعفرت ٣١٠ هـ . وقد أفاد خردوابه من عمله على بريد اقليم الجبل بفارس في تقديم معلومات وبيانات وافية عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها اما قدامة بن جعفر فقد تحدث عن اقسام الدولة العربية –الإسلامية وعن الجباية وطرق البريد .

ومن اشهر الجغرافيين العرب في القرن الثالث الهجري اليعقوبي ت ٢٨٤ هـ في كتابه البلدان الذي تضمن معلومات هامة عن البلاد التي زارها وقد أولى اليعقوبي اهتماما خاصا لوصف بغداد وسامراء وصفا تفصيليا الى جانب حرصه على تدوين الملاحظات عن المجتمعات التي تعرف اليها وتواريخ الأسر الحاكمة . وكذلك محمد بن موسى الخوارزمي (ت ق ٣ هـ) وكتابه صورة الارض ويليه ابن الفقيه الحمداني في كتابه مختصر كتاب البلدان ، وصف فيه الصين والهند وبلاد العرب ، ثم يأتي بعد هؤلاء جمهرة من الجغرافيين الذين برزوا خلال القرن الرابع الهجري ، نذكر منهم البلخي ت ٣٢٢هـ[١٦] الذي وضع كتاب الاشكال أو صورة الاقاليم ضمن مجموعة من الخرائط مع

١٦– البلخي ، ابو زيد احمد بن سهل ..

شـــروحها ، كما ينســـب اليه كتاب المســـالك والممالك الذي لم يصـــل الينا. ثم الاصطخري ابو اسحق ابراهيم ت ق ٤ هـــ في المسالك والممالك وابن حوقل أبو القاسم محمدت ٣٨٠هـــ في المسالك والممالك والمفاوز أو صورة الأرض وقد حذا فيه حذو الاصطخرى ، وكتابه هذا يلخص فيه رحلته الطويلة التى بدأها سنة ٣٢١هـ منطلقا من بغداد وزار خلالها اقطار الدولة العربية الاسلامية فى المشرق والمغرب كما زار مناطق اخرى فى اوربا كبلاد البلغار ، وقد اســـتغرقت رحلته هذه ثلاثون عاماً . ومن جغرافي القرن الرابع الهجري أيضـــا : ابو عبدالله محمد بن ابي بكر المقدسي ت ٣٨٧ هـــ وكتابه : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، يعتبر خلاصة رحلات واسفار طويلة في الدولة العربية وخدمات للملوك ومجالسة القضاة والأخذ عن الفقهاء والعلماء ومما يؤثر عن المقدسي اهتمامه بتحري الدقة وتسجيل الاخبار الغريبة .

ثم الجغرافي ابو محمد الحسن بن يعقوب الهمذاني ت ٣٣٤ هـــ وكتابه صفة جزيرة العرب الذي بحث فيه جغرافية بلاد العرب وجبالها ومســـاكنها ومدنها وآثارها ومعادنها

وقد ظهر بعد ذلك عددا من الجغرافيين العرب الذين أغنوا المكتبة الجغرافية بمؤلفاتهم التي اصـــبحت مراجع هامة يعتمد عليها الباحثون فيما بعد ، وفي مقدمة هؤلاء نذكر : الشريف الادريسي ابو عبد الله محمدت ٥٦٤ هـ وكتابه صفة المغرب وارض الســودان ومصــر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشــتاق في اختراق الآفاق . وكـــــان الادريسي قد زار صقلية واتصل بملكها (روجار الثاني) الذي أعجب بعلمه وطلب منه أن يؤلف له كتابا عن صــورة الارض ، فأجابه الادريســي الى ذلك وألف له كتابا اســماه : نزهة المشــتاق أو الكتاب الروجاري وقد عرف الادريســي بلقب اســترابون العرب ، ويعد من اعظم جغرافي العصــور الوســطى ، وقيل أن الادريســي صــنع للملك روجار أول كرة أرضــية في التاريخ رســم عليها خريطة بجميع بلاد العالم رسما غائرا مشروحا[١٧]

ونذكر من الجغرافيين أيضـــا : البكري القرطبي أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـــــ الذي ألف كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب اعتمد فيه على كتاب مسالك افريقية وممالكها لأبي عبد الله محمد بن يوسف الرواق ت ٣٦٢هـــ ، ويعد كتابه من اعظم ما كتب في جغرافية المغرب حيث أظهر البكري في تأليفه قدرة على الترتيب والتنظيم . ومن الجغرافيين الذين ألفوا الموســـوعات الجغرافية الهامة : ياقوت الحموي ت ١٢٦هـ في كتابه معجم البلدان الذي يعتبر معجما تاريخيا لحياة العرب ودولهم وممالكهم ويمتاز بترتيبه على حروف الهجاء ، وباتساع مادته

١٧– سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب.

وجمعه بين المادة الجغرافية والمادة التاريخية والادبية ، وقد قدم له ياقوت بخمسة فصول تناول فيها صورة الارض ومعنى الاقليم والكورة والمخلاف والرساتيق والطسوج والاجناد و اصطلاحات جغرافية اخرى كالبريد والفرسخ وقد اختصر السيوطى معجم البلدان في كتاب اسماه : مختصر معجم البلدان ، كما استخلص ابن عبد الحق البغدادي من معجم البلدان مادته الجغرافية ووضعها في كتاب : مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع[١٨]

اما النويري (شهاب الدين احمد ت٧٣٣هـ) فقد أفرد القسم الأول من مؤلفه "نهاية الأرب في فنون الادب " للحديث عن السماء العلوية والأرض والمعالم السفلية ، وكذلك القلقشندي (شهاب الدين احمد ت ١٢١هـ) في كتابه الموسوم : صبح الأعشى في صناعة الانشاء الذي كتبه بديوان الانشا بمصر ورتبه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة . فقد أفرد المقالة : الأولى من الفصل الثالث للحديث عن الازمنة والاوقات وايام الشهور والسنين ، وفي الثانية تحدث عن الأرض من حيث شكلها واقاليمها الطبيعية وانواع البحار ، اخيرا نذكر العمري (شهاب الدين بن فضل الله ت (٧٤٨) في مؤلفه الموسوم : مسالك الابصار في ممالك الامصار الذي بدأ فيه بالمشرق و ختمه بالمغرب

١٨– ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ص ٣٠ – ٣١ ، سالم ، التاريخ ، المؤرخون العرب ص ٢٠ – ٢١.

كتب الرحلات :

كانت الرحلة من العناصـــر القوية البارزة في حياة المجتمع العربي في عصـــور الازدهار وقد ساعد على ذلك اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وقيام المراكز العلمية في البصرة والكوفة وبغداد وبخاري وسمرقند ومرو ونيسابور والفسطاط والقاهرة والاسكندرية وطرابلس ودمشق وتونس والقيروان وفاس وقرطبة وغرناطة ، وغيرها من المدن التي حملت مشعل الحضارة العربية والاسلامية . وكان من الطبيعي ان يرحل العرب من مركز علمي الى آخر في الدولة العربية التماسا للعلم ورغبة في تحصيله على شيوخه في المشرق والمغرب على أن الحج ظل يشكل اساسا من أسس الرحلات بين اقطار المشرق و المغرب باعتباره فريضة من فرائض الدين الاسلامي الحنيف ، وقد حرص الرحالة العرب على تدوين مشاهداتهم ، وتسجيل اخبار رحلاتهم واسفارهم . فذكروا المدن التي نزلوها ، والمسافات التي قطعوها في تنقلاتهم ، ووصفوا ما شاهدوه من نواحي الحضارة في كل بلد طرقوه ، كما أن بعضهم وصف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى الاقطار المختلفة ، وعلى الرغم من تعدد دوافع الرحلات ، فان ما وصلنا من كتب الرحلات ضئيل للغاية ، ولعل السبب في ذلك يعود الى ضياع معظمها ، والى أن كثير من الرحالة آثر أن يدمج مشاهداته فيما الفه من كتب تاريخية أوجغرافية (مثل ابن حوقل والمسعودي)[١٩]

ومن الرحالة الذين برزوا في القرن الرابع الهجري أحمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان، الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك البلغار سنة ٣٠٩ هـ ، وقد دون ابن فضلان وصفا لرحلته هذه في كتاب يعد مرجعا اساسيا للجغرافيين امثال ياقوت والمسعودي والاصطخري . ومن الرحالة العرب في هذا القرن : المسعودي الذي اكتسب شهرته كمؤرخ وجغرافي ورحالة ، وقد زار المسعودي بلاد فارس ومناطق من الهند ، كما زار الصين ومدغشقر وآسيا الصغرى والشام ، ثم استقر بمصر حيث توفي هناك وكتابه : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، سجلا هاما لرحلاته وملاحظاته ، دون فيه خلاصة تجاربه وخبراته في الرحلات[٢٠]

ومنذ القرن السادس الهجري اصبح في امكاننا تمييز فريقين من الرحالة العرب المشارقة والرحالة العرب المغاربة ، ويمثل الفريق الأول : الهروي (أبو الحسن علي بن ابي بكر ت ٦١١ هـ ، وكتابه الاشارات إلى معرفة الزيارات ، وعبد اللطيف البغدادي توفي في أوائل القرن السابع الهجري)مؤلف الكتاب الموسوم : الافادة والاعتبار في الأمورالمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر .

١٩– سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ص ٤٠ – ٤١.

٢٠- سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ص ٤٢ – ٤٤ .

اما الرحالة المغاربة فيأتي في قدمتهم ابن جبير (ابو الحسين محمد بن احمد البلنسي ت ٦١٤هـ كتابه (تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار) المشهور برحلة ابن جبير ، ثم ابن سعيد المغربي ت ٦٧٣هـ في مؤلفه الموسوم : النفحة المسكية في الرحلة المكية ، وكتاب المغرب في حلى المغرب ، وكتاب المشرق في حلى المشرق .

ومن الرحالة المغاربة نذكر أيضا : العبدري (محمد بن محمد بن علي البلنسي المتوفى أواخر القرن السابع الهجري) وكتابه الرحلة المغربية و ابن بطوطه (ابو عبد الله محمد بن محمد الطنجي ت ٧٧٠ هـ) ومؤلفه الموسوم : تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفارالمعروف برحلة ابن بطوطة .

ثم التيجاني (ابو محمد عبد الله بن محمد ت ٧١٨ هـ) صاحب كتاب رحلة التيجاني ، وابن رشيد السبيتي الفهري ت ٧١١ هـ الذي قام برحلتين الأولى طاف فيها بنواحي المغرب ، والثانية جاب خلالها مدن الاندلس ، وكذلك البلوي (ابو البقاء خالد بن عيسى ت أواخر القرن ٨هـ) وكتابه تاج المغرب في تحلية علماء المشرق ، ثم الغرناطي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم ت ٥٦٥هـ في كتابه الموسوم : نخبة الاذهان في عجائب البلدان[٢١]

٢١– سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ص

كتب الأدب :

تعرضت كتب الأدب العربي لرواية بعض الاخبار الخاصة بالبلدان اوالقضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي تساعد الباحث في التاريخ والحضارة العربية على الالمام بجوانب هذه الحضارة ومن امثلة الكتب الأدبية التي تعتبر مصادر هامة للتاريخ العربي الاسلامي كتب عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ " الحيوان ، البخلاء ،وكتاب البيان والتبيين ، وكتاب التبصر بالتجارة ، وكتاب التاج في اخلاق الملوك ، ومؤلفات :ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ :عيون الأخباروالمعارف ، الامامة والسياسة ، والشعر والشعراء . وكذلك كتاب المبرد محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ الموسوم بالكامل ، وكتاب الأغاني لأبي فرج علي بن الهيثم المعروف بالاصفهاني . وكذلك كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لمحمد بن ابي طالب الدمشقي المعروف بشيخ الربوة ، وكتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وكتاب ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض للمقري.وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني[٢٢]

كتب الشعر العربى :

يعتبر الشعر العربي من المصادر الهامة لتاريخ العرب وحضارتهم ، فهو يصور أحوالهم الاجتماعية والسياسية والدينية ، ويقدم صورة واضحة عن طباعهم وعاداتهم واخلاقهم وقد قيل في الشعر العربي انه ديوان العرب ، وهو (ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، اليه يصيرون)[٢٣] به حفظت الانساب وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت العربية[٢٤] وعلى الرغم من أن الشعر العربي قد تعرض للضياع بسسبب تدوينه في تاريخ متأخر ، وقد تولى جمعه عدد من الرواة الحاذقين الذين تخصصوا برواية الشعر ، وممن اشتهر بجمعه منهم : حماد الرواية ت ١٥٥هـ ، وأبو عمرو العلاء ت ١٥٤هـ ، وأبو عبيدة ، والاصمعي، والمفضل بن محمد الكوفي صاحب المفضليات ، وابو عمرو اسحق بن مرار الشيباني ، وابو عبد الله محمد ابن زياد الاعرابي ، وابو محمد جناد بن واصل الكوفي ، وخلاد بن يزيد[٢٥] .

بالاضافة الى الشعر العربي هناك الأمثال العربية التي تعبر عن بيئة العرب وتطورها ، ومن اهم المصادر في هذا الموضوع كتاب: مجمع الأمثال لأبي الفضل بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني ت٥١٨هـ ويشتمل الكتاب على نيف وستة الآف مثل ، مرتبة على حروف المعجم ، وتمتد من مرحلة ماقبل الاسلام الى نهاية عصر الخلفاء الراشدين[٢٦]

---

٢٢ – المصدر نفسة.

٢٣– الجمحي ، طبقات الشعراء ص ١٠ طبعة ليدن .

٢٤– السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ج ٢ ص ٤٧٠ .

٢٥– جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ج ص ٦٨ ، ٦٩ .

٢٦– ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج[1] ص٦٥.

كتب الخراج :

وهي المؤلفات التي عالجت النظم الاقتصـادية في الدولة العربية من الناحية النظرية أو الفقهية ، ومثل هذه المؤلفات لها أهميتها في امداد الباحثين بمعلومات دقيقة عن الأوضاع الاقتصادية خلال حكم الخلفاء الراشدين والأمويين ، ومن أمثلة هذه الكتب : كتاب الخراج لأبي يوسف ت ١٨٢ هـــ ، الذي يتضمن اخبارا هامة عن الفتوح ونظر الخراج ، و كذلك كتاب الخراج لأبي الفرج قدامة بن جعفر ت ٣٧ هـــ الذي تناول فيه الدولة العربية وماجاورها من البلاد ، ونظام الثغور، ومنها كتاب : الاحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي ت ٥٠٤ هـ الذي تحدث عن الخلافة ونظام القضاء والنظم المالية[٢٧].

كتب الخطط :

تمد هذه الكتب الباحثين بمعلومات مهمة عن المنشـــئات المعمارية والمعالم الطبوغرافية والعمران المدني والتخطيط خلال عصـور الدولة العربية الاسـلامية . وأشـهر من كتب في هذه الموضـوعات : المقريزي في مؤلفه الموسـوم : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . وأخيرا نذكر كتب الحسـبة التي تقدم للباحثين صورا عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية . ومن الكتب التي وصلتنا نذكر[٢٨]

كتاب معالم القربة في احكام الحسبة لمحمد بن محمد القرشي المعروف بابن الاخوة

-كتاب آداب الحسبة لأبي عبدالله السقطي .

-كتاب آداب الحسبة لابن عبدون .

-كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزري .

-كتاب الحسبة في الاسلام لأحمد بن تيمية .

٢٧– الفهرست ، ص ٢٠٣.

٢٨– سالم ، ص٥٧.

الاستاذ محمد حاتم فياض الزوبعي

الخلفاء الأمويون

(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)

١ -	معاوية بن أبي سفيان	٤١-٦٠هـ	(٦٦١-٦٨٠م)
٢ -	يزيد بن معاوية	٦٠-٦٤هـ	(٦٨٠-٦٨٤م)
٣ -	معاوية بن يزيد بن معاوية	٦٤هـ	(٦٨٤م)
٤ -	مروان بن الحكم بن أبي العاص	٦٤-٦٥هـ	(٦٨٤ -٦٨٥م)
٥ -	عبد الملك بن مروان	٦٥-٨٦هـ	(٦٨٥ -٧٠٥م)
٦ -	الوليد بن عبد الملك بن مروان	٨٦-٩٦هـ	(٧٠٥ -٧١٥م)
٧ -	سليمان بن عبد الملك بن مروان	٩٦-٩٩هـ	٧١٥ -٧١٧م)
٨ -	عمر بن عبد العزيز بن مروان	٩٩-١٠١هـ	(٧١٧ - ٧٢٠م)
٩ -	يزيد بن عبد الملك بن مروان	١٠١-١٠٥هـ	(٧٢٠ - ٧٢٤م)
١٠-	هشام بن عبد الملك بن مروان	١٠٥-١٢٥هـ	(٧٢٤ - ٧٤٣م)
١١-	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١٢٥-١٢٦هـ	(٧٤٣ - ٧٤٤م)
١٢-	يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦هـ	(٧٤٤م)
١٣-	إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٧هـ	(٧٤٤ - ٧٤٥م)
١٤-	مروان بن محمد بن مروان	١٢٧ - ١٣٢هـ	(٧٤٥- ٧٥٠م)

الفصل الأول

خلافة معاوية بن ابي سفيان ١ ٤ ــ ٦٠ هـ

خلافة يزيد بن معاوية ٦٠ ــ ٦٤ هـ

خلافة معاوية الثاني بن يزيد ٦٤ هـ

الفصل الأول

خلافة معاوية بن أبي سفيان :

بعد استشهاد الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بايع المسلمون في الكوفة ولده الحسن في شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ ، في نفس الوقت الذي بويع فيه معاوية بن أبي سفيان بالخلافة في بيت المقدس[٢٩] .

وقد عبر الحسن منذ اليوم الأول الذي تولى فيه الخلافة عن تمسكه بسياسة السلم وتجنب إراقة الدماء ، وأعلن عن ذلك صراحة من خلال رده على قيس بن سعد الانصاري الذي قال للحسن حين بايعه : (ابسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين) ، فأجابه الحسن رضي الله عنه : (على كتاب الله وسنة رسوله ، فانهما يأتيان على كل شرط)[٣٠]. مما يؤكد نفور الحسن من الحرب وزهده في منصب الخلافة ويبدو أن الاحداث الدامية التي رافقت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأبيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان لها تأثيرا عميقا في نفس الخليفة الجديد

أما معاوية فقد سارع بتوجيه عبيد الملك بن عامر بن كريز على رأس جيش الى العراق فور سماعه نبأ وفاة علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ولم يترك للحسن فرصة ليعزز مركزه.

ويوطد نفوذه في العراق ، فلما وصل جيش معاوية الانبار اضطر الحسن للتصدي له ، وذكر الدينوري أن الحسن حين وصل (ساباط) بالقرب من المدائن رأى من جنده زهدا وانصرافا عن الحرب، فخطب فيهم ودعاهم الى الجماعة ونبذ الفرقة وقال : (أيها الناس اني قد اصبحت غير محتمل لمسلم ضغينة ، واني ناظر لكم كنظري لنفسي وأرى رأيا فلا تردوا على رأي ، أن الذي تكرهونه من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة ، وأرى أن أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل في القتال ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون)[٣١]

٢٩– الطبري ، ج٧ ص٤ (طبعة بريل).
٣٠– ابن الاثير ، الكامل ج٣.
٣١– الدينوري ، مقاتل الطالبين ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص٦٤.

ولاشـــك أن الحســـن قد عبر بهذا القرار عن ادراك عميق للموقف ونظرة واقعية لحقائق الأمور بعد الذي لاحظه من تخاذل جنده وعدم الاطمئنان لنواياهم ، وكان في عسـكره جماعة ممن تأثروا بآراء الخوارج ، فقالوا : كفر الحسـن كما كفر أبوه من قبل) اشـــارة الى قبول علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه – التحكيم بينه وبين معاوية ، فحرضـوا الجند ودخلوا معسـكره ونهبوا متاعه ، وطعنه الجراح بن سـنان الأسدي بخنجر مسموم في فخذه ، فحمل الى المدائن وعولج حتى شفي من جرحه[٣٢] ولما رأى الحسن انه غير آمن على نفسه وان اصحابه يتربصون به كتب الى معاوية في الانبار يعرض عليه الصـلح والتنازل عن الخلافة لقاء شـروط يشـترطها ، فلم يتردد معاوية في الاسـتجابة لجميع شـروط الحسـن[٣٣] الذي توجه الى الكوفة واعلن تنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، وسار الأخير الى الكوفة والتقى بالحسن أواخر شـهر ربيع الأول من سـنة ٤١ هـــ وسـمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع المسلمين على خليفة واحد[٣٤]

٣٢– الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص٦٤.

٣٣– اشـتراط الحسـن رضـي الله عنه أن يكون له ما في بيت مال الكوفة وخراج منطقة (دار بجرد) ، وان يحمل الى أخيه الحسين رضـي الله عنه مبلغ الف الف درهم وان يكون الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين (الطبري ، ج ص ٩٥) ...

٣٤– ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ص ١٠٤ .

سياسة معاوية بن أبي سفيان الداخلية :

أ – موقفه من الخوارج :

اتخذ معاوية مدينة دمشق/مركزا للخلافة الأموية ، واستقرت له الامور في اقاليم الدولة العربية الاسلامية بفضل السياسة التي انتهجها ومؤازرةأهل الشام والتفاف الأمويين حوله واعتماده على عدد من الولاة والقادة المخلصين ،فلم يعد خصومه يشكلون خطراً كبيرا على حكمه.

أما العلويون فقد كانوا متفرقين في الحجاز والعراق ومصر ، وتمكن ولاة معاوية من تحجيم دورهم والحد من نشاطهم في تلك الامصار ، ففي العراق قام زياد بن أبي سفيان (زياد بن أبيه) بالقبض على عدد من زعمائهم وأرسلهم الى دمشق فأمر معاوية بقتل ثمانية منهم[٣٥] على أن اخطر المعارضين لخلافة معاوية هم الخوارج الذين اعتبروا تنازل الحسن عن الخلافة خطرا يهدد وجودهم وينذر بتصفيتهم ، فحملوا السلاح وأعلنوا سخطهم على معاوية ، وقامت جماعة منهم بقيادة فروة بن نوفل الاشجعي بمهاجمة الكوفة ، فوجه معاوية عسكرا من أهل الشام الا أنهم إنهزموا أمام الخوارج[٣٦] فاستعان معاوية بأهل الكوفة وقال لهم : لا أمان لكم عندي والله حتى تكفوا بوائقكم وتقاتلوهم ، فخرج أهل الكوفة الى الخوارج يقاتلونهم فقال لهم الخوارج : ويلكم ما تبغون ،أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟

دعونا حتى نقاتله وان اصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم وإن اصابنا كنتم قد كفيتمونا ، فأبى أهل الكوفة إلا القتال حتى غلبوهم[٣٧] ولم يلبث الخوارج بعد هذه الهزيمة أن جمعوا شملهم وولوا أمرهم حوثرة بن وداع الاسدي ، فبعث معاوية لقتالهم عبد الله بن عوف الاحمر في الفي رجل ، فقتل حوثرة وتفرق اصحابه في جمادي الثانية سنة٤١هـ[٣٨] ومن بين الذين خرجوا على خلافة معاوية بن أبي سفيان في أوائل عهده : شبيب بن بجيرة الاشجعي ، وقد نجح المغيرة بن شعبة في القضاء عليه وعلى اصحابه ، كما بذل المغيرة جهودا كبيرة في مطاردة الخوارج فبث جنده في سائر أنحاء العراق ، ومن المعارك التي انتصرفيها جند الكوفة على الخوارج المعركة التي دارت رحاها بالقرب من (ساباط) حيث لم ينج منهم سوى بضعة رجال فروا من االمعرك[٣٩] على أن نهاية الخوارج في الكوفة كانت على أثر هزيمتهم في المعركة التي حدثت في (بانقيا) من نواحي الكوفة وكانوا قد التفوا حول قيادة حيان بن ظبيان الذي دعاهم الى الاستشهاد ، فاطبق عليهم جند الكوفة

٣٥– الطبري ، ج٦ ص ١٩٢ فما بعدها .
٣٦– الأثير ، الكامل ج ٣ ص ٣٠٩.
٣٧– الطبري ، ج ٧ ص ١٠ –٢٠.
٣٨– ابن الأثير ، الكامل ج٣ ص٤١٠–٤١١ .

٣٩ – اليعقوبي ، ج ٢ ص ٢٢٠.

وقتلوهم عن آخرهم[٤٠] .والواقع أن الكوفة لم تكن المسرح الوحيد لهذه المعركة ، فقد شهدت البصرة صراعا مريرا بين ولاة معاوية والخوارج الذين تمكنوا من الاستيلاء على البصرة بقيادة حمدان بن ابان ، فبعث اليهم معاوية جيشا بقيادة بسر بن أرطأة الذي نجح فى القضاء على هذا التمرد واستعاد مدينة البصرة ، الا أن معاوية لم يلبث أن عزله وعين مكانه عبد الله بن عامر أواخر سنة ٤١ هـ وضم اليه خراسان و سجستان ، ويبدو ان عبدالله بن عامر لم يوفق في مهمته بسبب سياسة اللين والتساهل التى عامل بها الخوارج في البصرة مما دفع معاوية الى عزله عن الولاية أوائل سنة ٤٤ هـ[٤١]واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان الذي ضيق الخناق حول الخوارج واشتد في ملاحقتهم والزم أهل البصرة بوجوب مطاردتهم وقتلهم ، وهددهم بقطع عطائهم إن أفلت خارجي من أيديهم ، فثار بهم البصريون وقضوا عليهم ، ونجح زياد في اخماد حركة الخوارج ونشر الاستقرار في طول البلاد وعرضها ، وكان معاوية قد ضم اليه ولاية الكوفة بعد وفاة المغيرة بن شعبة سنة ٥٠ هـ واستمر حتى وفاته في رمضان من السنة المذكورة[٤٢]

وخلف زياد على البصرة سمرة بن جندب فعزله معاوية بعد بضعة أشهر وولى مكانه عبدالله بن عمرو بن غيلان الذي عزل هو الآخر ثم استقر رأي معاوية على عبيد الله بن زياد فولاه البصرة سنة ٥٥هـ واستمر في ولايتها طيلة خلافة معاوية . ونجح في خلالها في الحد من نشاط الخوارج ، ولم تتعرض البصرة لأي خطر من ناحيتهم[٤٣]

ب – ولاية العهد :

تذهب الروايات التاريخية الى القول بأن فكرة ولاية العهد التي عمل بها معاوية بن أبي سفيان كانت من وحي أحد ولاته وهو المغيرة بن شعبه عامله على الكوفة الذي أشار على معاوية بأخذ البيعة لولده يزيد حرصا على المسلمين من الفتنة والاختلاف من بعده وقال : (يا أمير المؤمنين قد رأيت ماكان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان ، وفي يزيد منك خلف ، فاعقد له ، فأن حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك ، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة) ، فقال : ومن لي بهذا؟ قال اكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة ، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك[٤٤] إلا أن المتتبع لمسيرة معاوية منذ أن تولى ولاية الشام في عهد عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان من بعده يجد أنه كان يطمح لنيل الخلافة ويعد نفسه للظفر بها ، وقد وصفه

٤٠– الطبري ، ج ٧ ص ١١ – ١٥ .

٤١– فلهوزن ، الخوارج والشيعة ، ص ٥٩ .

٤٢– الطبري ، ج ٧ ص ١١ – ١٥ .

٤٣– نايف معروف ، الخوارج في العصر الأموي بيروت ط ٢ ١٩٨١ ص ١٢٧ – ١٣٢.

٤٤– ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ص١٥٥.

طباطبا بانه : (كان كريما باذلا للمال محبا للرئاسة مشغوفا بها[٤٥]ويظهر تطلع معاوية إلى السلطة من خلال سياستة نحو أهل الشام خاصة والقبائل العربية التي تدفقت على هذه البلاد فى عصر الفتوح بصورة عامة،عامة، حرص على اكتساب ثقة هؤلاء جميعا فأغدق عليهم الأموال فأطاعوه وتفانوا في نصرته مما ساعده على تحقيق أهدافه فيما بعد . ومن الشواهد التاريخية التي تعتبر مؤشرا نحو تطلع معاوية إلى الخلافة موقفه من الفتنة ومحاولته اقناع الخليفة عثمان بن عفان بالانتقال إلى دمشق مستهدفا من وراء ذلك كسب سند روحي يكفل له نيل الخلافة من بعده ، فقد ذكر الطبري أن معاوية ألح على عثمان بترك المدينة وقال له : (ياأمير المؤمنين ، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به ، فان أهل الشام على الأمر ما يزالوا)[٤٦] ويظهر مما تقدم أن معاوية لم يكن بحاجة الى من يشير عليه بتوليه العهد لولده يزيد ، فقد بدأ يمهد لهذا الأمر منذ أن استقر بالخلافة فسلك سياسة تقوم على كسب ثقة الناس وتأييدهم فكان (يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به حتى استوثق به أكثر الناس) كما حرص على أن يظهر يزيد بمظهر الرجل الكفء بهذا الأمر ، من خلال اصراره على اشراكه في الحملات ضد الروم البيزنطيين ،فغزا القسطنطينية على رأس جيش ضم وجوه المسلمين وأبناء الصحابة[٤٧] اخيرا فان عمال معاوية الذين أحسن اختيارهم كانوا عند حسن ظن خليفتهم فقد بذلوا جهودا كبيرة لتحقيق رغبته وتهيئة أفكارالمسلمين باللين أحيانا وبالشدة أحيانا لحملهم على البيعة ليزيد ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل، فقد استنكر أهل المدينة وابناء الصحابة خروج معاوية على التقاليد الاسلامية ومبدأ الشورى ، مما دعاه الى التوجه بنفسه الى المدينة محاولا اقناع المعارضين وحملهم على مبايعة ولده حرصا على وحدة المسلمين ومراعاة المصلحة في اجتماع الكلمة الا أنهم رفضوا الاذعان لرغبته فعاد الى الشام تاركا الامر الى عاملة سعيد بن العاص الذي تكمن من أخذ البيعة من أهل المدينة سالكا في ذلك جميع الوسائل، فرحل معاوية الى الحجاز ثانية فأدى فريضة الحج بمكة ثم عاد الى المدينة واجتمع الى زعماء المعارضة وحملهم على قبول البيعة لولده يزيد واعلن ذلك في المسجد الجامع[٤٨]وقد أصبحت الخلافة الأموية بعد اقرار مبدأ ولاية العهد في نظر بعض المؤرخين (ملكية خالصة) بسبب خرق معاوية للتقليد الذي كان متبعا في عصرالراشدين وخروجه على مبدأ الشورى

---

٤٥ – ابن طباطبا ، الفخري ، ص ٩٢

٤٦ – الطبري ، ج ٥ ص ١٠١

٤٧– اليعقوبي ، ج ص ٣٣٩، المسعودي ، مروج ج ص ٢٤ .

٤٨– ابن الأثير ، الكامل ج ٣ ص ٥٠٨ – ٥١١ (من بين الذين امتنعوا عن مبايعة يزيد الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعالله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي

والواقع أن الخلافة الأموية لا يمكن اعتبارها نظاما ملكيا خالصا اذ لوصح هذا لما وجدنا معاوية بحاجة الى اخذ البيعة لولدة من الامصار الاسلامية والحرص على لقناع المعارضين و استمالتهم للحصول على موافقة الأغلبية الساحقة من جمهور المسلمين فالملك ينتقل لولي العهد دون حاجة إلى مبايعة الناس أو موافقتهم ، أما الخلافة فلا تتم الا بالبيعة من المسلمين أو من ينوب عنهم[٤٩] وانطلاقا من هذا المبدأ فأن خلافة يزيد لم تصح الا بعد ان جدد المسلمون له البيعة بعد وفاة أبيه ، ويمكن القول بأن الخلافة في عهد بني أمية استحالت الى ما يشبه النظام الملكي من حيث توريث العهد مع التمسك بفكرة البيعة التقليدية[٥٠] ، ويعلل بعض المؤرخين ولاية العهد في العصر الأموي بقوله : " أن نظام الشورى الذي جرى عليه المسلمون كان يكفل لهم اختيار أصلح الناس للخلافة وأكثرهم كفاية إلا أنه لم يعد نظاما صالحا بعد ان اتسعت الدولة العربية وانقضى جيل الصحابة الذين كانت لهم الأولوية في الاختيار لسابقتهم وصحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم[٥١] ، وعلى الرغم من أن منافسي بني أميه واعدائهم قد اعتبروا توليه العهد خروج عن مبدأ الشورى وخرق للتقاليد الإسلامية إلا أنهم ما لبثوا أن ساروا على نفس النهج في توريث العهد وتولية أكثر من واحد من ابنائهم وأقربائهم كما ظهر ذلك في خلافة العباسيين والفاطميين وحذا حذوهم أمراء الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب[٥٢]

---

٤٩ – نايف محمود ، الخوارج ص ١٣٢.

٥٠ – سالم ، تاريخ الدولة العربية ص ٦٥٧.

٥١– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٦١٤-ص٦١٤.

٥٢– رشيد الجميلي تاريخ الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب بغداد ١٩٧٩ .

ج – نظم الحكم والإدارة فى عهد معاوية :

اقدم معاوية على اســـتحداث بعض التغيران وادخال نظام جديد تتفق مع ظروف الدولة وطبيعة البلاد فألغى كثيرا من المظاهر التقليدية التي كانت سائدة في الأمصار الإسلامية وأقام جهازا حكوميا منظما يتضح فيه النمط البيزنطي[٥٣].

وقد ظهرت ملامح تلك التغييرات مع بداية ولاية معاوية على الشام من خلال سلوكه الشـــخصـــي ومظاهر الابهة التي حرص على التمســـك بها امام رعاياه الأمر الذي اســـترعى انتباه واســـتنكار الخليفة عمر بن الخطاب عندما قدم الى الشـــام فقد خرج معاوية لاستقباله في موكب حافل يحيط به الحراس والحجاب ، غير أنه برر للخليفة ذلك وقال : يا أمير المؤمنين إنا في ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة[٥٤]

وعليه فإن تمســـك معاوية بهذه المظاهر كان نتيجة مجاورته للدولة البيزنطية من جهة ولأن بلاد الشـــام كانت من مراكز النفوذ والحضـــارة البيزنطية من جهة أخرى فحرص على الظهور بمظهر الحاكم القوي ليفرض هيبته على أهل الشام[٥٥]

وكان معاوية قد جعل اقامته في قصـــر الخضـــراء المجاور للجامع ، وأمر ببناء المقصـــورة داخل المســـجد يصـــلي فيها دون ســـواه وكان يربط المقصـــورة وقصـــر الخضـــراء ســـرداب ولم يكن يســـمح بدخول المقصـــورة الألمن يثق به من خاصـــته وحراســـه[٥٦]وكان اتخاذ معاوية للمقصـــورة على أثر محاولة القتل التي تعرض إليها من قبل أحد الخوارج . واســـتحدث معاوية أيضـــا المئذنة التي أصـــبحت فيما بعد عنصـــرا من عناصـــر الجامع ولم تكن كذلك في مســـاجد الاســـلام حتى ذلك الحين ففي سنة ٥٣ هـــ أمر معاوية مسلمة بن مخلد واليه على مصر أن يبني صوامع للأذان ، فبنى أربعة صـــوامع في أركان الجامع ، ثم انتشـــرت الصـــوامع بعد ذلك في مســـاجد الاسلام[٥٧] .

٥٣– فيليب حتى تاريخ العرب مطول ج ص ٣٥٧ سالم، تاريخ الدولة العربية ص ٦١٧

٥٤– ابن خلدون المقدمة ص ٣٦٠ .

٥٥– سالم تاريخ الدولة العربية ص ٦٠٢ .

٥٦– الدنيوري ، الاخبار الطوال ٢١٥.

٥٧– ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج١ص٦٨ طبعة القاهرة ١٩٣٦.

أما بالنسبة للتنظيمات التي تتصل بأمور الدولة العامة فقد تم استحداث ديوان البريد وتنظيمه حرصا على سرعة وصول الاخبار إلى مركز الخلافة ن فقد تم تقسيم الطرق الى منازل يجري فيها استبدال الخيل تامينا للسرعة ، كما انشأ في عهد معاوية أيضا ديوان الخاتم لحفظ الكتب التي تصدر عن دار الخلافة أو عن عماله في الامصار ، وختم النسخة الأصلية المرسلة بخاتم الخليفة تم تحزم وتمهر بالشمع[٥٨]

وبالنسبة للادارة المالية فقد عهد معاوية بها إلى جماعة من أهل الذمة ممن عرفوا بكفاءتهم ويعتبر معاوية بذلك أول من عين النصارى في مناصب الدولة ، وجعل المنصور بن سرجون كاتبا على الخراج ، كما عين طبيبه بن اثال النصرانى عاملا على حمص ، وتحقق في عهدة معاوية العديد من مشاريع الزراعة واعمال الري في بلاد الحجازوتضاعفت اعطيات الجند نتيجة ازدياد موارد االدولة[٥٩] ويعود الفضل إلى معاوية في انشاء البحرية الاسلامية منذ ان كان واليا على بلاد الشام ، ولما تولى الخلافة عمل على تدعيمها ومضاعفة امكاناتها لمواجهة الغارات البيزنطية ، كما اهتم بترميم الحصون الساحلية في عكا وصور وغيرهما من مدن الساحل الشامي ، واقام مراكز لصناعة السفن في كل من صور وصيدا وعكا والاسكندرية ، وبفضل هذا الاسطول تمكن المسلمون بقيادة جناده بن أبي أميه من الاستيلاء على جزيرة أرواد ورودس[٦٠]

٥٨– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦١٧ ،عبدالحميد بخيت ،الدولة العربية الكبرى ص٢٤٣

٥٩– فيليب حتى ، تاريخ سورية ج٣ ص ٣٩ .

٦٠– البلاذري ، فتوح البلدان ج١ ص ٣٧٨ ، ابن الأثير ، الكامل ج٣ ص٤٩٣

خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ هـ - ٦٤ هـ) :

تولى يزيد الخلافة بعد وفاة أبيه في رجب من سنة ٦٠ هـ وكان له من العمر خمسة وثلاثون سنة ، وقد أقر يزيد عمال أبيه على الامصار فاستمر عبيد الله بن زياد على عمله في البصرة والنعمان بن بشير على الكوفة والوليد بن عتبه بن أبي سفيان على المدينة ، وعمرو بن سعيد بن العاص على مكة .

قد طلب يزيد من الوليد بن عتبه أخذ البيعة له من أهل المدينة وفي مقدمتهم الحسين بن علي (رضي) وعبد الله بن الزبير وكانا قد امتنعا عن مبايعة يزيد بعد وفاة أبيه ، فأستدعى الوليد الحسين بن علي وطلب إليه مبايعة يزيد ، فأجابه الحسين بأنه مثله لا يعطي بيعته سرا فاذا مادعي الناس للبيعة ودعيت معهم كان الأمر واحدا " ثم انصرف الى داره وغادر المدينة الى مكة ، وكان عبد الله بن الزبير قد توجه هو الآخر إلى مكة وتحصن في البيت الحرام واستجاربه[٦١]

أهم الاحداث في عهد يزيد :

بعد وصول الحسين بن علي مكة بدأت الوفود والكتب تتواصل اليه من أهل الكوفة يعربون فيها عن مبايعتهم له ويدعونه للقدوم عليهم فاستجاب الحسين لنداءاتهم المتكررة التى تؤكد سخط اهل الكوفة على يزيد وكرههم للأمويين ، ورأى أن يوفد ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب الى الكوفة ليقف على حقيقة موقف أهلها وصدق اخلاصهم للحسين بن علي فوصل مسلم الكوفة في الخامس من شوال سنة ٦٠ هـ ونزل في دار المختار بن أبي مسعود الثقفي الذي أصبح مركزا لنشاط مسلم في الكوفة حتى قدوم عبيد الله بن زياد واليا عليها : ويرى بعض الباحثين ان اختيار مسلم بن عقيل لبيت المختار يعكس اطمئنانه إليه وتأكده من عدائه للأمويين ، وكان المختار متزوجا من أخت النعمان بن بشير والي الكوفة ، مما أتاح لمسلم وانصاره العمل بحرية[٦٢]الأمر الذي أغضب انصار بني أمية الذين اتهموا النعمان بالتواطؤ والتساهل مع اعداء يزيد ، ودعوه الى قتالهم ، فأجابهم بقوله : لا أقاتل إلا من قاتلني ، ولا أثب إلا من وثب علي ، ولا أخذ بالقرفة[٦٣] والظنة ، فمن ، ابدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم اكن إلا وحدي)[٦٤]إلا أن موقف النعمان هذا لم يقنع انصار يزيد فكتبوا إلى الخليفة باخبار مسلم بن عقيل ونشاطه في الكوفة وسكوت الوالي عنه فبادر يزيد بعزل النعمان وتولية عبيد الله بن زياد إضافة إلى البصرة ، فأسرع الأخير الى الكوفة للقضاء على مسلم بن عقيل واتباعه ، وتذكر الروايات التاريخية أن ما يزيد على ثمانية عشر الفا من أهل الكوفة بايعوا الحسين ، وقد كتب مسلم بذلت الى ابن عمه في مكة ودعاه للقدوم إلى الكوفة ، إلا أن وصول

٦١– الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٣٦٢ ، ابن الاثير، الكامل ج٤ص١٧.
٦٢– عبدالامير دكسن ، الخلافة الأموية ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٣٧،ص٦٠
٦٣– القرفة : التهمة .
٦٤– الدنيوري ، الاخبار الطوال ٢٣١.

عبيد الله بن زياد غير الموقف تماما نظرا لما عرف عن الأخير من شدة البأس والبطش ، فتفرق اتباع مسلم عنه وتخلوا عن نصرته فظفر به عبيد الله وأمر بقتله والقاء جثته من قصر الأمارة ، وتولى قتل مسلم شرطي فارسي كان قد جرحه مسلم في القتال قبل أن يستسلم لجند بن زياد[٦٥] أما الحسين فكان قد أعد العدة للمسير نحو الكوفة على الرغم من معارضة عدد من بني هاشم ونصحهم له بعدم الرحيل عن مكة وخوفوه من أهل الكوفة الذين سبق أن خذلوا أبيه من قبل ، وخاطبه عبدالله بن عباس بقوله : " أقم بهذا البلد فانك سيد أهل الحجاز ، فـــان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا ، فاكتب اليهم ، فلينفوا عدوهم ثم اقدم عليهم * إلا أن الحسين اصر على الرحيل وقال: يأبن عم والله اعلم انك ناصح مشفق ، ولكني قد ازمعت وأجمعت على المسير" فلما يئس عبدالله بن عباس من اقناع الحسين بالعزول عن رأيه ، طلب إليه ان يبقي أولاده ونساءه في مكة وقال (فلا تسر بنسائك وصبيتك فوالله اني اخاف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون)[٦٦].

وقبل أن يشق الحسين طريقه نحو العراق التقى بالفرزدق الذي قدم للحج إلى مكة فسأله عن مشاعر أهل العراق فقال له : (القلوب معك : والسيوف مع بني أمية والقضاء بيد الله)[٦٧]الا ان ذلك أيضا لم يؤثر على عزيمة الحسين وتمسكه بالمبادىء والقيم التي أمن بها ، فخرج بعدد لايتجاوز الثمانين من اهل بيتة وبعض الخلصين من أتباعه[٦٨]وعلم الحسين وهو في طريقه الى العراق . بمقتل مسلم بن عقيل وما كان من غدر أهل الكوفة وخذلانهم له ، وكان كلما تقدم أقبل عليه من ينصحه بالعودة ، ويبدو أن الحسين رغب في العودة الى الحجاز إلا أن اخوة مسلم رفضوا ذلك وأصروا على الأخذ بثأر أخيهم فقرر المضي إلى الكوفة[٦٩]، فتصدت له طليعة جيش عبيد الله بن زياد بقيادة الحـــر بن يزيد التميمي ومنعته من المسير إلى الكوفة كما قطعت عليه طريق العودة الى الحجاز فعدل إلى كربلاء بالقرب من الشاطيء الغربي للفرات وعسكر هناك في غرة المحرم من سنة ٦١ هـ حيث باغته عمر بن سعد بن ابي وقاص في أربعة الآف من أهل الكوفة فحالوا بينه وبين الماء فحاول الحسين تجنب القتال وإراقة دماء المسلمين وطلب الى عمر أن يدعه يختار واحدة ،من ثلاث إما تدعوني فانصرف من حيث اتيت واما ان تدعوني فاذهب الى يزيد واما تدعوني فالحق بالثغور فكتب ابن سعيد الى عبيدالله بذالك فاصرالاخير ان يعلن الحسين مبايعته ليزيد ويسلم نفسه وأرسل الى عمر بن سعد بان يستعمل القوة إذا رفض الحسين ذلك وإلا فليسلم القيادة الـــى شمر بن ذي الجوشن القيسي الذي حمل هذه الرسالة وفي العاشر من محرم بدأ القتال ، وكان الحر بن يزيد قد انظم الى جانب الحسين وقاتل معه ، وأخذ اصحاب الحسين يتساقطون الواحد تلو الآخر ثم جاء دور الحسين نفسه

٦٥– الدنيوري الاخبار الطوال ص٣٤٠–٣٤٣، المسعودي ، ج٣ص٥٨٠، ابن الاثير الكامل ج٤ص٢٦–٢٦.فلهوزن ، الخوارج والشيعة ، ص ١٢٤.

٦٦– الطبري ، ج٦ص٣١٦،المسعودي ،ج٣ص٦٠.

٦٧– المسعودي ،ج٣ص٦٥.

٦٨– الدنيوري ، الاخبار الطوال ص٣٥٠–٣٦٠، ابن الاثير ، الكامل ج٤ص٤٦.

٦٩– ذكر المسعودي ج٣ص٦١ان الحسين كان في خمسمائة فعرس من اهل بيتة واصحابة ونحو مائة من الرجال، اما اليعقوبي وابن الاثير فيذكر انه كان في عدد لايتجاوز ٧٣رجلا. ويبدوا ان اصحاب الحسين لا يقلون عن المائتين.

فقاتل قتال الأبطال حتى أثخنته الجراح وسقط على الأرض فتكاثر عليه اعداءه وقتلوه ثم أحتزوا رأسه ورؤس أصحابه ، وحملها شمر بن ذي الجوشن الى عبيد الله ابن زياد الذي بعث بها الى يزيد في دمشق وأمر الأخير بتسليم رأس الحسين إلى أخته زينب فدفن مع الجسد في كربلاء ، كما أمر باعادة النساء ومعهن علي بن الحسين وكان فتى صغيرا إلى المدينة[٧٠]

٢- موقعة الحرة :

كان استشهاد الحسين وآل بيته قد ترك أثرا عميقا في نفوس المسلمين وجاء رد فعل أهل المدينة عنيفا فقد أعلنوا تأييدهم لابن الزبير[٧١]وقد حاول يزيد تهدئة الموقف في الحجاز فأرسل وفدا الى مكة لمقابلة عبدالله بن الزبير ودعوته الى الصلح ، غير أن تلك المفاوضات لم تصل الى نتيجة ، وقام أهل المدينة بطرد عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد وأقاموا عليهم عبد الله بن حنظلة ، وأخرجوا بني أمية من المدينة وفيهم مروان بن الحكم وولده عبد الملك وفي الطريق الى الشام التقوا بالجيش الذي ارسله يزيد بن معاوية لاخضاع عبد الله بن الزبير وكان يقود هذا الجيش مسلم بن عقبة المري فانضم مروان وولده عبد الملك اليه وعادوا معه إلى المدينة وقد قدم عبد الملك الى مسلم بن عقبة معلومات وافية عن أحوال المدينة نالت أعجابه وتقديره فقال: (لله أبوك أي أمرىء ولد إذ ولدك، لقد رأى بك خلفا)[٧٢]

ووصلت قوات يزيد المدينة فنزلت في الحرة أواخر ذي الحجة من سنة ٦٣ هـ ، وشرعت بمحاصرتها وكان أهل المدينة قد عزموا على القتال ورفضوا نداء مسلم بن عقبة الذي دعاهم فيه الى الدخول في الطاعة واعلان ولائهم ليزيد بن معاوية ، وردوا عليه بشدة ، ونشب القتال واستبسل أهل المدينة في الدفاع عنها وسقط عدد كبير منهم ، ثم تمكن مسلم بن عقبة من دخول المدينة بأهلها وأسرف في القتل[٧٣]

٧٠– الطبري ، ج ١ ص ٣٧٠ فما بعده ، الدنيوري ص٣٥٠–٣٦٠ ، المسعودي ، ج٣ص٦٠–٦١ابن الاثير، الكامل ج٤ص٤٦.
٧١– باستثناء عبدالله بن عباس ومحمد بن الحنفية .
٧٢– ابن سعيد ، الطبقات ج٥ص١٦٦–١٦٧ ، خليفة بن خياط ، تاريخ ج١ص٣٣٨ ، البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١٣٦–١٣٧.
٧٣– ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ص١٩٣–١٩٥ ، المسعودي ، ج٣ص٦٩–٧٠ ، ابن الاثير ، الكامل ج٤ص١٢٠.

٣-محاصرة ابن الزبير في مكة :

بعد ان تم لمسلم بن عقبة اخضاع اهل المدينة ، رحل عنها الى مكة لقتال عبدالله بن الزبير الذي حصل على بيعة أهل الحجاز ، واستخلف مسلم على المدينة : روح بن زنباع الجدامي او قيل ايضا : عمرو بن مخرمة الأشجعي ، إلا أن مسلم لم يلبث أن مات في الطريق الى مكة فتولى قيادة الجيش بعده الحصين بن نمير السكوني فوصلها في أواخر محرم سنة ٦٤ هـ فحاصرها الى نهاية صفر ، ثم شرع بقتال أهلها ورمى بالمنجنيق طيلة شهر ربيع الأول ثم وصل خبر وفاة يزيد بن معاوية في أول ربيع الثاني فتوقف القتال ، وذكر المؤرخون ان قائد الجيش الاموي الحصين بن نمير اجتمع الى ابن الزبير وعرض عليه الخلافة على أن يخرج معه الى الشام ليحصل على مبايعة المسلمين هناك إلا أن ابن الزبير رفض ذلك بشدة بسبب ما أصاب أهل المدينة من القتل على يد مسلم بن عقبة ، فعاد الحصين بجيشه الى الشام[٧٤]

خلافة معاوية الثاني بن يزيد ١٤ هـ :

كانت وفاة يزيد بن معاوية إيذانا ببدء مرحلة جديدة من تاريخ الخلافة الاموية في الشام وقد اتسمت بتصاعد حدة الصراع بين الأمويين والقوى المناهضة لهم في العراق والحجاز ، فقد آلت الخلافة بعد وفاة يزيد الى ولده معاوية وكان فتى ضعيفا زاهدا في الحكم ، وقد ذكرالسيوطي أن معاوية (لما استخلف كان مريضا فاستمر في مرضه حتى مات ولم يخرج الى الباب ، ولا فعل شيئا من الامور ، ولاصلى الناس وكانت مدة خلافته اربعين يوما وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر[٧٥]

٧٤– الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٣٦٨ ، ابن الأثير ، الكامل ج٤ ، ص ١٢٩.
٧٥– السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥١ .

الفصل الثاني

خلافة مروان بن الحكم (٦٤ – ٦٥ هـ)

خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ)

(الفصل الثاني)

خلافة مروان بن الحكم ٦٤ – ٦٥ هـ) :

مات معاوية الثاني دون أن يعهد لأحد من ابنائه أو أقاربه ، وترك الأمر شـــورى للمسلمين فظهرت عدة تيارات في بلاد الشام وانقسم الامويون على أنفسهم وأصبح هناك أكثر من مرشـــح واحد للخلافة فمنهم أرادها لخالد بن معاوية وفريق يريد مبايعة عمرو بن سعيد بن العاص ، وفريق آخر يؤيد ترشيح مروان أبن الحكم شيخ بني أمية أنذاك ويتزعم هذا الفريق كل من عبيد الله بن زياد وروح بن زنباع الجذامي والحصين بن نمير وحسان بن بحدل ، أما في الحجاز فقد استوثق الأمر هناك لابن الزبير وبايعه أهل مصر وخراسان وقسم كبير من أهل العراق ، وحمص وقنسرين وفلسطيين كما بايعه القيسية بزعامة الضحاك بن قيس ، وكان الأخير يتولى أمر دمشـــق ، وتم عقد اجتماع ضـــم رجال بني أمية في الجابية من أرض حوران لتداول فيمن يولونه الخلافة فاتفقوا على مروان بن الحكم الذي كان له نفوذ كبير في بني أمية باعتباره كبير أسرتهم على أن يكون ألامر من بعده لخالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد بن العاص ، وتمت مبايعة مروان في اليوم الثالث من ذي القعدة سنة ٦٤ هـــ[٧٦] .وحين علم الضحاك بن قيس بتولية مروان غادر دمشق الى مرج راهط الى الشـــمال الشـــرقي من دمشـــق – معلنا ســـخطه ورفضـــه لخلافه مروان.وانضمت الى الضحاك جموع من القيسية والمضرية ، واعداد كبيرة من مختلف مناطق الشام ، واستعد لمواجهة مروان بن الحكم الذي اسرع بحشد جيش كبير جعل على ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد ، وكان رحيل الضحاك عن دمشق أتاح لانصار الامويين السيطرة على المدينة وطرد نائبه فيها، وقد ســـاعد ذلك على تدعيم موقف مروان عن طريق امداده بالأموال والرجال ، فزحف الأخير نحو مرج راهط حيث دارت بينه وبين الضـــحاك معركة دامت عشرون يوما انتهت بمصرع الضحاك وهزيمة اصحابه[٧٧]وكان لانتصار مروان في مرج راهط أثر كبير في تدعيم مركزه في بلاد الشـــام والمضـــي في اخضـــاع باقي الامصـــار الاســـلامية التي اعترفت بخلافة عبد الله بن الزبير وطرد عماله عنها ، فبدأ بمصر وقاد بنفسه جيشا كبيرا وتمكن من هزيمة عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم خلال المعركة التي وقعت في أول جمادي الأول سنة ٦٥ هـــ ودخل

٧٦– الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٣٨٥ ، ابن الطقطقي ، الفخري ص ١٦٤ ، ابن الأثير ،الكامل ج٤ص ١٤٥ – ١٤٨ .

٧٧– ابن الاثير، الكامل ج ص ١٥٠ .

الفسطاط وأقام بها مدة شهرين عاد بعدها الى دمشق بعد أن عين ولده عبد العزيز واليا على مصر[٧٨]

ولم يكد مروان يستقر في الشام بعد عودته من مصر حتى واجهه حركة خطيرة تزعمها سليمان بن صرد الخزاعي في الكوفة ، تدعوا الى الأخذ بثأر الحسين بن علي (رض) ، والواقع أن هذه الحركة كانت قد بدأت منذ عهد يزيد وعرف اتباعه التوابين تعبيرا عن توبتهم وندمهم على خذلانهم الحسين ، وكان سليمان هذا من بين الذين كاتبوا الحسين ودعوه للقدوم الى الكوفة ، فلما مات يزيد بدمشق أعلن سليمان عن أهدافه وعزمه على الاقتصاص من قتلة الحسين ، مستغلا تصاعد حملة العداء والاستنكار التي عمت العراق ضد الحكم الأموي ، ، حيث قام أهل الكوفة بطرد نائب عبيد الله بن زياد وأعلنوا مبايعتهم لعبد الله بن الزبير، فأرسل الأخير عبد الله بن يزيد الأنصاري واليا على الكوفة في الثاني والعشرين من رمضان سنة ٦٤ هـ[٧٩]

واضطر عبيد الله بن زياد الى مغادرة العراق على أثر تلك الاحداث التي عمت الكوفة والبصرة فاتصل بمروان ابن الحكم وسانده في الوصول الى الخلافة . واستقر رأي التوابين على الاجتماع في ربيع الثاني سنة ٦٥هـ وكتبوا الى انصارهم في المدائن والبصرة وعلى الرغم من أن اعدادا كبيرة أبدت استعدادها للانضواء تحت حركة التوابين والقتال الى جانبهم إلا أنه لم يجتمع في الموعد المقرر سوى أربعة الآف رجل ، ولم يؤثر ذلك على خطة سليمان فمضى بهم عبر الفرات ونزل قرقيسياء ، وكان تحت سيطرة زفر بن الحارث الكيلاني ، فأمدهم بمعلومات عن تحركات جيش الشام الذي كان يقوده الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ، كما هيأ لهم سوقا للتزود بما يحتاجونه من المؤن ، ونصحهم بلقاء عدوهم عند مدينة عين الوردة ويجعلوها في ظهوره (ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بين مدينتنا ومدينتكم فانتم له آمنون)[٨٠]، وأخذ سليمان بنصحية زفر بن الحارث ونزل باصحابه في عين الوردة واقام معسكرا خمسة ايام ، فوصلت قوات الشام وتم الاشتباك في اليوم الثامن والعشرين من جمادي الأولى سنة ٦٥ هـ ودارت الدائرة على التوابين ولم ينج منهم إلا من استطاع الفرار ، وكان من بين الذين لقوا مصرعهم في هذه المعركة سليمان بن صرد الخزاعي نفسه[٨١]

٧٨– الكندي ، ولاة مصر ، ص ٦٦– ٦٧ ، المقريزي ، الخطط ج٣ ص٣٣٧.
٧٩– الطبري ، ج٣ ص ٥٠٩.

٨٠– الطبري ، ج٣ص٥٥٤.
٨١– اليعقوبي ، ج ٣ ص ٣٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ج ٤ ص ١٨٥١٨١ .

خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥) هـ - ٨٦هـ) :

تولى عبد الملك الخلافة الأموية بعد وفاة أبيه مروان ، في وقت تصاعدت فيه حركات المعارضه ضد الحكم الأموي ، حيث بويع لعبد الله بن الزبير في الحجاز والبصرة، كما أعلن المختار الدعوة لأل البيت في الكوفة ، بالأضافة الى المشاكل الأخرى التي واجهها في بلاد الشام حيث استغل الروم الظروف التي كانت تمر بها الدولة الأموية وصعدوا من عملياتهم الحربية ضد الثغور الاسلامية وقد تجلت مواهب عبد الملك ومقدرته السياسية من خلال معالجته للمشاكل والأخطار وصموده في وجه التحديات التي هددت الخلافة الأموية.

تولية العهد :

لم يلتزم مروان بن الحكم بمقررات مؤتمر الجابية التي نصت على تكون ولاية العهد لخالد ابن يزيد بن معاوية ثم لعمرو بن سعيد بن العاص ، فقرر جعلها لولديه عبد الملك ثم عبد العزيز من بعده وقد ساعده على تنفيذ رغبته استتباب الأمور في مصر والعراق والشام وقضائه على حركات المعارضة هناك ، فأرغم عمرو بن سعيد بن العاص على التنازل عن ولاية العهد ، كما أرسل الى حسان بن بحدل واقنعه بالتخلي عن مساندته لخالد بن يزيد بحجة حداثة سنه وعدم صلاحيته لتولي الخلافة ، ولم يلبث مروان ان توفي في رمضان سنة ٦٥هـ

أ-حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي :

من الحركات الخطيرة التي واجهت الدولة العربية في عصـــر عبد الملك بن مروان حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة وتكمـــــــن خطورة هذة الحركة في انضـواء (الغلاة)[٨٢]تحت قيادة المختار ، ولم يكن لهم تنظيم واضـح قبل ذلك ، وبرز من بينهم كيسـان الذي تولى شـرطة المختار ، ويعتبر المختار أول من حاول كسـب الموالي في حركته ، وقد أبدى تسامحا تجاه أرائهم الغريبة وشجعها ، فانضمت اليه منهم جموع كبيرة قدرها الدينوري بأربعين الفا وقد وجدوا في دعوته الـــــــــــى مسـاواتهم بالعرب في العطاء واعتماده عليهم ما أثار طموحهم وحماسـتهم[٨٣]فقد ذكر الدينوري أن المختـار (قرب أبنـاء العجم وفوض لهم ولأولادهم الاعطيـات وقرب مجالسهم وباعد العرب واقصاهم وحرمهم فغضبوا لذلك)[٨٤]

وكان عداء المختار للامويين قد ظهر منذ وقت مبكر ، وظهر هذا الاتجاة بوضـــوح بعد وفاة معاوية بن ابي سفيان حين جعل من داره في الكوفة مركزا لنشاط مسلم بن عقيل الذي انتدبه الحســـين ابن علي (رض) ليأخذ البيعة له من أهل الكوفة ، إلا أن مسـلم ما لبث أن أفتضـح أمرة ووقع بيد عبيد الله بن زياد ففتك به ، كما أمر بسـجن المختار متهما اياة بالتستر على اعداء الخلافة الأموية ، فبقي في سـجنه حتى أواخر شهر المحرم سنة ٦١هـــ ، فاضطر المختار الى ترك الكوفة والتوجه نحو الحجاز ، حيث حاول كسب تأييد علي زين العابدين بن الحسين واضـفاء صـفة الشرعية على الحركة التي يزمع القيام بها ضـــد الأمويين إلا أن عليا رفض الاســتجابه الى رغبة المختار وأعلن أنه كذاب يحاول استغلال استشـهاد الحسين لتحقيق أهدافه الخاصـة ، كما أن محمدا بن الحنفية لم يظهر أي حماس في تـأييد المختـار أو منحـه تفويض للدعوة بأســـمه في هذه المرحلة ، وهكذا لم يجد المختار أمامه ســـوى عبد الله بن الزبير فاتصـــل به واعلن مبايعته له ووقوفه الى جانبه طمعا في الحصـــول على منصب كبير في الدولة ، وكان المختار يطمع في أن يوليه ابن الزبير االكوفة[4]

واستمرت ملازمة المختار لابن الزبير طيلة عهد يزيد بن معاوية ،

٨٢– الغلاة جماعة احتفظت بالمفاهيم الاسـاسـية للمجوسـية وغلفتها بغلاف اسـلامي وتسـترت وراء الحركات المناهضـة للأمويين ، كما اصـبغت حركتها صـبغة علوية على الرغم من تبرأ الأئمة العلويين منهم والغلاة فرق عديدة ترجع في أصولها الى المزدكية والزرادشتيه والمانوية.

٨٣– عبد العزيز الدوري ، الجذور التاريخية للشعوبية ، الطبعة الثالثة بيروت١٩٨١ ، ص٣٠–٣١.

٨٤– الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٣٠٦–٣٠٧ .

وحارب معه ضد جيش الشام الذي حاصر مكة بقيادة الحصين بن نمير السكوني [1].
ان هذا الوفاق لم يستمر طويلا، فقد قرر المختار العودة الى الكوفة بعد أن يئس من تحقيق أطماعه في ظل خلافة ابن الزبير، بسبب تخوف الأخير من نوايا المختار وطموحاته الشخصية ، فدخـل الكوفة في أواخر رمضان سنة ٦٤ هـ وشرع في التخطيط للاستيلاء عليها ، إلا أن عبد الله بن يزيد عامل ابن الزبير في الكوفة رصـــد تحركاته وكشف مخططه ، فأمر بسجنه فلبث مدة قصيرة ثم أطلق سراحه بعد أن تعهد بعدم القيام باي نشاط في الكوفة ولم تمض ســوى بضعة أشهر حتى عين ابن الزبير واليا جديدا على الكوفة هو عبد الله بن مطيع في أواخر رمضان سنة ٦٥هـ ، فوجد المختار نفسه في حل من العهود والمواثيق التي أخذها على نفسه للوالي السابق ، وبدأ في الاعداد للوثوب على السلطة ، ونجح في طرد عبد الله بن مطيع والاستيلاء على الكوفة في ربيع الأول سنة ٦٦هـ[85]

اشتدت شوكة المختار بعد نجاحه في الاستيلاء على الكوفة وازدادت حشود المؤيدين له من أهل الكوفة والموالي الساخطين على العرب ، وبدأ يستعد لمواجهة الأمويين وتحقيق وعوده بالاقتصاص من قتلة الحسين وأهل بيته ، فالتقى بجيش عبيد الله بن زياد في معركة الخازر التي دارت رحاها على بعد خمسة فراسخ عن الموصل ، وكان النصرحليف جيش المختار في هذه المعركة فقد انهزم جيش الشام ولقي عبيد الله بن زياد مصرعه مع الحصين بن نميرو شرحبيل بن ذي الكلاع وعدد كبير من اهل الشام[86]أصبح المختار بعد انتصارة على جيش الشام يشكل تهديدا خطيرلمركز عبدالله بن الزبير في العراق، وكان الأخير قد عهد الى اخيه مصعب بن الزبير بولاية البصرة ، فاستعد مصعب لتوجيه ضربة حاسمة ضد المختار بعد أن لجأ إليه عدد كبير من اشراف الكوفة هربا من تعسف المختار واضطهاده لهم ونجح مصعب في تحقيق أول انتصار له على جيش المختار في موقعة المدار سنة ٦٧هـ ولقي احمد بن شميط قائد جيش المختار مصرعه ، وكان وقع هذه الهزيمة سيئا على موقف المختار ، فقد تزعزعت ثقة أهل الكوفة به وتجرأوا على وصفه بالكذاب[87]. ثم واصل مصعب زحفه نحو الكوفة وكان المختار قد عسكر في حروراء بظاهر الكوفة غير انه اضطر للتراجع امام ضربات جيش مصعب ، وتحصن بقصره في الكوفة ، فحوصر حصارا شديدا انتهى بقتل المختار في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٦٧هـ واصبح العراق خاضعا لعبد الله بن الزبير[88].

٨٥– نفس المصدر، الخلافة الأموية ، ص ٦٥ فما بعدها.
٨٦– البلاذري ، انساب الاسراف ج٥ص٢٤٨–٢٦٨ ، ج٢ص٢٥٩ ، ابن الاثير ، الكامل ج٤ص٢١٧.
٨٧– نفس المصدر ، انساب الاسراف ج٥ص٢٥٤ ، الطبري ،ج٤ص٢٢٢.
٨٨– الدنيوري ، الاخبار الطوال ص٣٠٨ ، المسعودي ج٣ص٩٩.

ب – الصراع بين عبد الملك وعبد الله بن الزبير :

كان عبد الملك يراقب تطور الصراع الدائر في العراق بين المختار ومصعب بن الزبير بانتظار ما سينجم عن هذا الصراع من نتائج يقرر على ضوءها اتخاذ القرار المناسب ، وانصرف خلال تلك الفترة الى معالجة المشاكل التي تواجه الدولة الأموية[٨٩]وبعد انتصار مصعب على المختار أستعد عبد الملك بن مروان لمواجهة مصعب وحسم الموقف في العراق فخرج على رأس جيوشه في مطلع سنة ٧١ هـ وجعل طريقه على قرقيسياء مستهدفا القضاء على زفر بن الحارث الذي اعلن خروجه على خلافة عبد الملك وأيدته جموع القيسية وسيطر على قرقيسياء ، ونجح عبد الملك في ارغام زفر بن الحارث على الاستسلام بعد حصار قصير ومضى الى العراق ، وكان مصعب قد استعد لمواجهة الموقف وخرج للتصدي لجيش عبد الملك فتم اللقاء بينهما عند دير الجاثليق في جمادي الأول من سنة ٧٣ هـ وقد نجح عبد الملك في كسب عدد من الأمراء في جيش مصعب بن الزبير بعد أن استمالهم بالاموال والوعود كما عمد الى توجيه نداء الى مصعب عرض فيه الامان له ولأصحابه إمعانا في التأثير على معنويات المقاتلين في جيش ابن الزبير ، ودارت المعركة بين الطرفين في الخامس عشر من الشهر المذكور وانتهت بمصرع مصعب وهزيمة جيشه ودخول عبد الملك وخضع العراق جميعه للخلافة الأموية وعين عبد الملك اخاه بشر بن مروان واليا على الكوفة وارسل خالد بن عبد الله بن أسيد واليا على البصرة[٩٠]

ولم يبق امام عبد الملك بعد انتصاره على مصعب سوى الزحف نحو الحجاز للقضاء على عبدالله بن الزبير نفسه ، وكان موقف الأخير قد تحرج بعد مصرع أخيه مصعب وهزيمة جيشه في العراق وعهد عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف الثقفي بقيادة الجيش الأموي فزحف الحجاج نحو الحجاز ونزل الطائف وأقام بها شهرا ، ثم واصل بعدها المسير الى مكة حيث فرض عليها الحصار ليرغم أهلها على التخلي عن مساندتهم لابن الزبير ، كما أمر بضرب مكة بالمنجنيق ، وقاتل اصحاب ابن الزبير قتالا شديدا على الرغم من تفوق جيش الحجاج الذي عمد الى اعطاء الأمان فاستجاب له عدد كبير من جيش ابن الزبير[٩١]

٨٩– كان عبد الملك قد تمكن من قتل نائل بن قيس وهزيمة جيشه في موقعة اجنادين وكان نائل هذا قد بايع لابن الزبير في فلسطين ، كما قضى على حركة عمرو بن سعيد بن العاص الذي استولى على دمشق وتحصن بها منتهزا خروج عبد الملك لقتال زفر بن الحارث فعاد عبد الملك الى دمشق فحاصرها ثم تمكن من دخولها وقتل عمرو بن سعيد.

٩٠– البلاذري ، انساب الاشراف ج٥ص١٦٦–١٦٩ ، الدنيوري ، الاخبار الطوال ص٣١١–٣١٣ ، ابن الاثير ، الكامل ج٤ص٣٣٦.

٩١– ذكر المؤرخون أن عشرة الآف من اتباع عبدالله بن الزبير تخلوا عنه وانضموا إلى الحجاج بضمنهم اثنان من أولاده (راجع الطبري والمسعودي وابن عساكر وابن الاثير).

حتى لم يبق مع الاخير سوى عدد قليل الجند ، واصل القتال معهم حتى قتل في اليوم السابع عشر من جمادي الثاني سنة ٧٣ هـ وبايع اهل مكة لعبد الملك ، وحذا حذوهم أهل المدينة أيضاً[٩٢]

ج- الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان :

لم تخمد حركة الخوارج بصورة نهائية على الرغم من الجهود والانتصارات التي حققها زياد بن أبيه وولده عبيد الله من بعده ، فقد عاد الخوارج الى حمل السلاح في وجه الأمويين منتهزين في ذلك اضطراب الأوضاع السياسية وتزايد حركات المعارضة ضد الخلافة الأموية ففي الوقت الذي كان عبد الملك يقاتل مصعب بن الزبير في العراق كان المهلب بن أبي صفره لا يزال يحارب الازارقة[٩٣]في سولاف ، وبعد أن استقر الأمر لعبد الملك استؤنفت الحرب ضد الخوارج وعهد بهذه المهمة الى خالد بن عبد الله بن أسيد عامله على البصرة، فبادر الأخير الى اعداد جيش لقتال الازارقة عهد بقيادته الى أخيه عبد العزيز بن عبد الله ، إلا أن هذا الجيش لم يلبث أن مني بهزيمة كبيرة ووقع عدد كبير من افراده في الاسر الأمر الذي أغضب عبدالملك فأرسل إلى خالد بن عبد الله يلومه على تقاعسه في قتال الخوارج ويامره بأن يتولى قيادة الجيش بنفسه على أن يصطحب معه المهلب بن ابي صفره كما كتب عبد الملك الى اخيه بشر بن مروان يامره بان يمد خالدا بخمسة الآف من أهل الكوفة واستطاع خالد بهذا الجيش أن يهزم الخوارج في الاحواز ، وواصل المهلب بعد ذلك مطاردة فلول الخوارج حتى أجلاهم من اقليم الاحواز وعهد الى ولده المغيرة تعقبهم في بلاد فارس[٩٤]

ثم بدأت مرحلة جديدة من الحرب ضد الخوارج بتولي الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق سنة ٧٥ هـ، حيث بذل الحجاج جهودا كبيرة للقضاء عليهم واستئصال شأفتهم ، ووجه الجيوش من الكوفة والبصرة المعاونة المهلب بن ابي صغره الذي أخذ على عاتقه قيادة الحزب ضد الخوارج في بلاد فارس فطاردهم حتى نواحي سابور ، غير أن الخوارج استطاعوا الايقاع بجند الكوفة وقتل قائدهم عبد الرحمن بن محنف[٩٥]إلا أن الحجاج لم يقتنع بما حققه المهلب من انتصارات على الخوارج الذين اضطروا إلى الانسحاب نحو كرمان بعد قتال استمر ثمانية عشر شهرا ،

٩٢– ابن سعد :الطبقات ج٥ ص ١٦٩ – ١٧٠ خليفة بن خياط ، ج١ ص ٣٤٣.

٩٣– الازارقة احدى فرق الخوارج وقد عرفوا بهذا الاسم نسبة لزعيمهم نافع بن الازرق وكانوا يعتبرون كل من لم يكن خارجيا من المسلمين ملحدا ويستحل دمه ودم زوجته وأولاده ، انظر : الشزرستاني الملل والنحل ،ص ٨٩-٩٠ عبد القادر البغدادي الفرق بين الفرق ، ص ٦٢-٦٣ ، بيروت ١٩٨٢ .

٩٤– نايف معروف ، الخوارج في العصر الاموي ،ص١٣٥ فما بعدها.

٩٥– نايف معروف ، الخوارج في العصر الأموي ، ص ١٥٦ .

فارسل الى المهلب يستحثه على مواصلة القتال ، فعمد الأخيرالى اصطناع السياسة والخديعه ولجأ الى بث الفرقة واشـاعة الاختلاف بين صـفوف الازارقة الذين كانوا اخطر فرق الخوارج على الدولـة الأمويـة فنجحت خطتـه وتفجر الصـراع بينهم وحملوا السـلاح على بعضـهم فاغتنم المهلب الفرصـة، وهاجمهم والحق بهم هزيمة منكرة وقتل زعيمهم عبدربـه الكبير ولم ينج منهم إلا القليل، وبـادر عبدالملك بن مروان بتقليد المهلب ابن ابي صفره ولاية خراسان تقديرا لجهوده في قتال الخوارج وخدمة الخلافة الاموية فاستمر ولايته حتى وفاته ٤ سنة ٨٣ هـ[٩٦]

ولم يكن الازارقة وحدهم الذين حملوا السلاح في وجه عبد الملك بن مروان فقد كان هناك فرق أخرى من الخوارج اتخذت من اقليم الموصل والجزيرة مسرحا لنشاطها وهؤلاء هم: الصفرية[٩٧]، وكانوا يعدون العدة لمهاجمة الكوفة ، وتمكنوا من الانتصار على الجيش الذي ارسله محمد بن مروان بقيادة عدي بن عدي بن عميرة الكندي في المعركة التي دارت بين رأس العين ونصـيبين ، مما جعل محمد بن مروان يرسـل جيشـا أخرا بقيادة خالد بن جزء السـلمي والحارث بن جعونـة العامري فادركا الخوارج في آمد ودارت معركة اضـطرت معها الخوارج الى الانسـحاب من اقليم الجزيرة الى الدسـكرة باتجاه الكوفة فلما علم الحجاج بذلك وجه اليهم الحارث بن عميرة الهمذاني في ثلاثـة الآف من أهل الكوفـة فتمكن من هزيمتهم وقتل زعيمهم صـالح بن المسـرح ، فبايع الصـفرية شـبيب الشـيباني ليتولى أمرهم ، فتمكن الأخير من الحاق الهزيمة بجيش الكوفة وقتل قائده الحارث بن عميرة كما تمكن أيضـا من الانتصـار على عساكر الحجاج في عدة مواقع ، مما شجعه على الزحف نحو الكوفة ونجح بدخول المدينة في غياب الحجاج ثم غادرها في اليوم التالي ، فاضطر الحجاج الى طلب الامـداد من الخليفة فأمده باربعة الآف قادهم الحجاج بنفسه مع فرقة من اهل الكوفة بقيادة خالد بن عتاب ، ونجح في هزيمة الصـفرية وانسـحب شـبيب نحو كرمان فتعقبه سـفيان بن الأبرد في اربعة الآف من أهل البصـرة فادركه عبد جسـر دجيل في الاحواز وهزمه وحاول شبيب الهرب فسقط حصـانة في النهر وغرق في أواخر سنة ٧٧هـ [٩٨]

٩٦– الدنيوري ، الاخبار الطوال ص ٣٨٠ ، ابن الأثير ، الكامل ج ص ٤٤٠-٤٧٥ .

٩٧– وهم اتباع زياد بن الاصفر ويختلفون عن الازارقة في جواز قـل نـساء واطفال مخاليفهم (البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٧٠ .

٩٨– نايف معروف الخوارج ص ١٦٦ فما بعدها .

د- حركة عبد الرحمن بن الاشعث :

كان الحجاج بن يوسف الثقفي قد عهد الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث[٩٩]بقيادة جيش من أهل الكوفة لقتال رتبيل ملك كابل وزابل الذي نقض الصلح مع المسلمين وامتنع عن دفع الجزية ، فوصل ابن الأشعث الى سجستان في سنة ٨٠ هـ ، وانضم اليه هناك جيش من طبرستان بقيادة أخويه القاسم والصباح ، ويبدو أن اخبار هذا الجيش قد أرعبت الملك رتبيل فأرسل إلى ابن الاشعث محاولا استرضائة واستعداده لتوقيع معاهدة للصلح ، إلا أن ابن الاشعث لم يلتفت الى نداء رتبيل الذي تظاهر بالانسحاب في محاولة لاغراء جيش المسلمين على التوغل بعيدا داخل بلاده إلا أن ابن الاشعث كشف خطة رتبيل هذا وتتوقف عن ملاحقته وشرع باحكام سيطرته على المناطق التي تقع تحت سيطرته فبدأ باقامة الحاميات وتنظيم الاتصال بين المدن والحاميات ثم قرر العودة الى (بست) على ان يستأنف عملياته في الربيع القادم (ربيع ٨١ هـ) وكتب الى الحجاج بتفاصيل خطته إلا أن الأخير أصر على ضرورة مواصلة القتال وهدد ابن الاشعث بعزله عن القيادة[١٠٠]فرفض ابن الاشعث التقيد بأوامر الحجاج واستمر بتنفيذ خطته على الرغم من بالتقاعس عن الحرب ومداهنة العدو وبأنه : (يصانع عدوا قليلا ذليلا) ويبدو ان ابن الاشعث كان يعد العدة للخروج على طاعة الحجاج وبالتالى عصيان الخليفة عبد الملك بن مروان، وهذا ما يفسر اصراره على المضى في خطته ثم تحريض جنده على الثورة والوقوف في وجه الخلافة الأموية ، [١٠١]ولم يجد ابن الأشعث اية صعوبة فى تحقيق هذا الهدف ، فقد كان جيشه يضم عدد كبيرا من الموالي وجماعة من اتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذين سارعوا الى اعلان تأييدهم له وامعانا في اثارة الجند وحملهم على عصيان أوامر الحجاج اظهر ابن الاشعث لأمراء الجند رسالة إدعى ان الحجاج وجهها اليه يأمره فيها بعزل عدد من الأمراء وقتل عدد أخر ، ولكي يؤمن خط الرجعة في حالة اضطراره الى التراجع عقد صلحا مع رتبيل نص على أن يوفر الأخير الحماية للاشعث واصحابه في بلاده مقابل اعفائه من الجزية ، وقبل أن يرحل عن البلاد عين ابن الاشعث ولاة من قبله على المدن المهمة في سجستان مثل بست وزرنج[١٠٢]

٩٩– هو عبد الرحمن بن محمد بن قيس بن الاشعث الكندي من سلالة ملوك كندة قبل الاسلام، وقد أطلق على الجيش الذي تولى قيادته اسم جيش الطواويس لحسن تنظيمه وضخامة عدته وتجهيزه .

١٠٠– ذكر البلاذري في فتوح البلدان ص ٣٩ (أن عبد الرحمن بن الأشعث خلع وخرج الى سجستان مخالفا عبد الملك بن مروان والحجاج فهادن رتبيل وصار اليه) .

١٠١– بن الاثير الكامل ج٤ ص ٧٧.

١٠٢– عبد الأمير دكسن الخلافة الأموية ص ٣٤٦-٣٤٨،توفيق برو ، الدولة العربية الكبرى ص٣٧٧.

وشرع ابن الاشعث في الزحف نحو العراق فلما وصل بلاد فارس اعلن أصحابه خلع عبد الملك بن مروان، ومبايعتهم لعبد الرحمن بن الأشعث الذي ضرب بالدراهم باسمه وذكر بعض المؤرخين أنه حاول استمالة المهلب بن أبي صفره ودعاه الى الانضمام اليه ، إلا أن الملهب رفض ذلك محذرا اياه من خطورة العمل الذي يقدم عليه ، ولما وصلت اخبار ابن الأشعث الى الحجاج رحل عن الكوفة الى البصرة وأرسل الى عبد الملك طالبا مده بالجيوش لمواجهة الموقف وفي العاشر من ذي الحجة سنة ٨١ هـ حقق ابن الاشعث أول انتصار له على جيش الحجاج بالقرب من تستر ، فانسحب الحجاج على اثر ذلك الى البصرة تم تركها إلى الزاوية ، فاتاح بذلك لابن الاشعث دخولها دون مقاومة تذكر ، وبادر باقامة التحصينات في المدينة إلا أنه لم يلبث أن انهزم امام الحجاج في نهاية المحرم من السنة المذكورة واسرع في التوجه نحو الكوفة حيث يمكنه الاعتماد على قبيلته وانصاره هناك ، فاستقبله اهلها بحماس شديد[١٠٣]، وفي هذه الاثناء وصلت الى الحجاج امدادات جديدة من الشام فرحل عن البصرة ونزل في (دير قره) ، كما رحل ابن الاشعث عن الكوفة وعسكر في (دير الجماجم) في ربيع الأول من سنة ٨٣ هـ ، وحدثت مناوشات بين الطرفين استمرت حوالي شهرين ، وأمام تأخر الحجاج في حسم الموقف بدأ الخليفة يساوره القلق نحو العراق ، فأستقر رأيه على ارسال جيش جديد بقيادة اخيه محمد بن مروان وولده عبدالله بن عبد الملك ، وفوضهما بعرض شروطه علـــى العراقيين لانهاء حالة الحرب وحقن الدماء، وتضمنت تلك الشروط عزل الحجاج عن الولاية وزيادة العطاء لأهل العـراق ومنح ابن الاشعث الولاية التي يرغب بها في العراق طيلة حياتة[١٠٤]وكان لموقف الخليفة هذا وقع سيء في نفس الحجاج فحاول اقناعه بالعدول عن هذه الشروط وخوفه من مغبة تمادي أهل العراق في الثورة إلا أن عبد الملك أصر على تنفيذ ما استقر عليه ، على أن ابن الاشعث لـم يستطع اقناع اصحابه بقبول شروط الخليفة بسبب العداء الذي كان يكنه الموالي واتباع المختار وعموم أهل الكوفة للادارة الأموية فارغموه على مواصلة القتال الذي امتد الى مئة يوم واضطر معه ابن الاشعث الى التراجع نحو البصرة حيث أدركته قوات الحجاج في (مسكن) فانهزم هزيمة نكراء في شعبان من سنة ٨٣ هـــ وفر هاربا الى سجستان ثم استقر به المطاف عند الملك رتبيل في كابل ، عاود بعدها محاربة عمال الحجاج في خراسان وغيرها، إلا أن هذه المحاولة لم تزده الا ضعفا فقد انفصل عنه اصحابه ولم يبق معه الا عدد يسير فعاد الملك رتبيل وأقام عنده .الا أن لجوئه إلى رتبيل لم ينقذه من الحجاج الذي ارسل الى رتبيل يطلب تسليم ابن الاشعث مقابل اعفائه من دفع الجزية سبع سنوات فوافق الأخير

١٠٣– دكسن الخلافة الأموية على ٣٥٣ ، ٣٥٥.

١٠٤– كان للتدابير التي اتخذها الحجاج بإعادة فرض الخراج على الأرض التي كانت خراجية وتحولت إلى أرض عشرية بانتقالها إلى العرب رد فعل عنيف لدى العرب الذين تعرضت اراضيهم لإعادة فرض الخراج وكان ذلك من أهم الأسباب التي دفعتهم إلى تأييد عبد الرحمن بن الاشعث حيث قاموا بحرق سجلات الأراضي لطمس نوعيتها وبعد القضاء على حركة ابن الاشعث ادعى هؤلاء بان أراضيهم في الأصل عشرية ولم تكن خراجية ،انظر : عبد العزيز الدوري مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٣٣ .

على ذلك في سنة ٨٥ هـــ وتختلف الروايات حول نهاية ابن الاشعث هذا ، فقد ذهب بعضها الـــى القول بانه قتل على يد الملك ارتبيل وذكر البعض الآخر انه مات على فراشه وقيل أيضا أن الملك رتبيل قيده وسيره الى الحجاج فرمـــى بنفسه (من فوق سطح وسقط معه الذي كان يحفظه وكان قد سلسل نفسه معه فمات)[١٠٥]

هـ - حركة المردة أو الجراجمة في لبنان :

من الحركات التي واجهها عبد الملك في بلاد الشام خلال مدة خلافته فتنة الجراجمة الذين كانوا يسكنون مدينة الجرجومة بين بياس وبوقاس بجبل اللكام . فقد انتهز هؤلاء انشغال الخليفة في مواجهة حركات المعارضة ، وخرجوا في أثني عشر الفا في البقاع ، واجتاحوا جبل لبنان الشرقي وقطعوا الطرق ، فاضطر عبد الملك الى مصالحتهم علـى الف دينار في كل جمعة ، كما صالح امبراطور الروم على مال يؤديه ريثما يتم له القضاء على اعدائه ومنافسيه في الداخل ، وذكر البلاذري أن عبد الملك وجه إليهم سحيم بن المهاجر فدخل معسكرهم متنكرا واغراهم بمهاجمة المسلمين ثم باغتهم بجند كان قد أعدهم لهذا الأمر فقتل قائد الروم مع اصحابه وتفرق الجراجمة في قرى حمص ودمشق،ورجع قسم منهم الى مدينتهم باللكام[١٠٦]

تلك هي اهم الاحداث البارزة التي شهدها عهد عبد الملك بن مروان وقد نجح في قمعها جميعا ، واعاد إلى الدولة العربية وحدتها وتماسكها بعد سلسلة من الحروب الأهلية الدامية كادت أن تطيح بالبناء الذي شيده الخلفاء الراشدون وتعرض الدولة الى الانهيار التام فقد توقفت حركة الفتوحات ، وتحرك الروم لاستعادة نفوذهم في بلاد الشام ، ونشط الفرس في التآمر على ضرب الدولة العربية من الداخل متوسلين من اجل ذلك شتى الوسائل التي تمكنهم من الوصول الى أهدافهم فكانوا دعامة للحركات المعارضة التي استهدفت القضاء على الحكم الأموي . وكان نجاح عبد الملك في القضاء على تلك الحركات دليلا على كفائته ومقدرته السياسية ، وحكمته في ادارة شؤون الدولة التي نالت هي الأخرى اهتمامه ورعايته فكان للانجازات التي حققها دور بارز في ارساء دعائم الحكم والادارة في الدولة الأموية ، بفضل الاصلاحات التي ادخلها على مرافقها الادارية والمالية وسنتحدث عن هذا الموضوع في الفصل الخاص بالحضارة ونظم الحكم في العصر الأموي

١٠٥– البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩١، الطبري ، ج٦ص ٣٤٧، ابن الأثير الكامل ج٤ص ٧٨-٨١ .

١٠٦– البلاذري ، فتوح البلدان ص١٦٣–١٦٥.

الفصل الثالث

خلفاء بني أمية بعد عبد الملك بن مروان

(٨٦ ـ ١٣٢ هـ)

خلفاء بني أمية بعد عبد الملك بن مروان (٨٦ – ١٣٢ هـ) :

توفي عبد الملك بن مروان في الرابع عشر من شوال سنة ٨٦ هـ تاركا لخلفائه من بعده دولة قوية موحدة الاركان، يسودها الأمن والاستقرار مما هيأ لهم القيام بالاصلاحات الداخلية والعناية[١٠٧] بشؤون البناء والعمران ومواصلة حركة الفتح الاسلامي ، فاتسعت الدولة في عهدهم ووصل العرب الى أماكن بعيدة في آسيا وافريقيا ، وعبروا البحر الى الاندلس وسنتاول الحديث عن الخلفاء الذين تعاقبوا على حكم الدو العربية بعد عبد الملك بن مروان مولين اهتماما خاصا بالاحداث البارزة التي شهدتها تلك المرحلة من تاريخ الخلافة الأموية .

١ – الوليد بن عبد الملك	**٨٦ – ٩٦هـ**
٢ – سليمان بن عبد الملك	**٩٦ – ٩٩هـ**
٣– عمر بن عبد العزيز	**٩٩ – ١٠١ هـ**
٤– يزيد بن عبد الملك	**١٠١ – ١٠٥ هـ**
٥– هشام بن عبد الملك	**١٠٥ – ١٢٥ هـ**
٦– الوليد بن يزيد بن عبد الملك	**١٠٥–١٢٥ هـ**
٧– يزيد بن الوليد بن عبد الملك	**١٢٦ – ١٢٦ هـ**
٨– مروان بن محمد	**١٢٧ – ١٣٢ هـ**

١٠٧– البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٦٣ – ١٦٥.

الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ - ٩٦ هـ :

كان عبد الملك قد أخذ العهد لولديه : الوليد وسليمان من بعده ، فلما توفى بويع الوليد بالخلافة ، وقد اتسم عهده بالاستقرار وخمود حركة الخوارج الذين ركنوا إلى الهدوء سنوات طويلة بفضل الجهود التي بذلها الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد اتاحت هذه الظروف للوليد استئناف حركة الفتوحات الاسلامية حتى بلغت اطراف الهند شرقا وأوربا غربا ساعده على تحقيقها عدد من القادة الذين عرفوا بشجاعتهم وكفايتهم الحربية ، أمثال : محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم في المشرق وموسى بن نصير وطارق بن زياد في المغرب

والى جانب اتساع حركة الفتوحات هذه شهد عصر الوليد ازدهارا ملحوظا شمل مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والعمرانية ، فأنشات الدور لايواء العجزة والمساكين وأجرى الأرزاق على العميان والمرضى ،كما شمل القراء والفقهاء وقوام المساجد برعايته وخصص لهم عطاء ثابتا ، واهتم الوليد بالناحية الصحية اهتماما كبيرا ، فأمر بأنشاء عدد من المستشفيات لمعالجة الناس ، وخصص بعضها للمجذومين وذوي الأمراض المعدية ليحول دون انتشارها في البلاد، أما من الناحية الدينية فقد تم في عهد الوليد بناء المسجد الأموي بدمشق والمسجد الأقصى في القدس ، كما اعاد بناء مسجد المدينة وزاد في مساحته ، وأمر ببناء المساجد في العديد من مدن الدولة ، وأظهر الوليد كذلك اهتماما خاصا بالناحية الحربية فعمل على تحصين الثغور فبنى المعاقل والحصون لحماية البلاد ، وأمر باصلاح الطرق وربط المدن بشبكة من المواصلات والعناية بالزراعة وشؤون الري .

خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ - ٩٩ هـ) :

أمتدت خلافة الوليد الى سنة ٩٦ هـ حيث توفي بدمشق في شهر جمادي الثاني ، ودفن خارج الباب الصغير ، فبويع لاخيه سليمان من بعده ، وكان الأخير مقيما بالرملة فعاد إلى القدس وحضرت لديه وفود الأمراء وقادة الجند ورؤساء القبائل المبايعته بالخلافة.

وقد أفتتح سليمان حكمه بعزل جميع ولاة الحجاج بن يوسف الثقفي وأمر بأطلاق سراح الذين كان قد سجنهم خلال ولايته على العراق ، فعزل عثمان بن حيان عن المدينة ويزيد بن أبي مسلم عن ولاية الكوفة، واظهر سليمان ميلا الى اليمانية واستعمل الشدة مع المضريين بسبب تأييدهم لاخيه الوليد حتى عزم على اقصائه عن ولاية العهد وجعلها لولده عبد العزيز وقد كان لهذه السياسة التي انتهجها سليمان اثرها السيء على مستقبل الخلافة الأموية من جهة وتاريخ الدولة العربية من جهة أخرى ، بما كان لها من دور في اذكاء نيران العصبية القبلية في الداخل وتوقف حركة الفتح

في الخارج ، وتصاعد حركة المعارضة ضد الحكم الأموي في مختلف ارجاء الدولة العربية وازدياد نشاط العناصر المناوئة للأمويين وللعرب بوجه عام . وقد فقدت الدولة بسبب هذه السياسة عددا من القادة الذين أبلوا بلاء حسنا في قيادة حركة الفتوحات في المشرق والمغرب بسبب تأييدهم للوليد وموافقتهم على اقصاء سليمان من ولاية العهد ، فما أن تولى الأخير مقاليد الخلافة حتى بادر الى عزل موسى ابن نصير وطارق بن زياد وعاملها معاملة سيئة ، وكان قتيبة بن مسلم قد خشى من انتقام سليمان فاعلن خلعه ودعى الجند في خراسان الى مؤازرته ،الا انهم لم يوافقوا على ذالك وخرجوا على طاعته ولم يلبثوا أن فتكوا به مع عدد من أهل بيته[١٠٨] ، اما محمد بن القاسم الثقفي فقد أمر سليمان بعزله عن ولاية السند وولى مكانه يزيد بن أبي كشبة وأمره بأن يبعث بمحمد بن القاسم الى الشام فسيره مقيدا مع معاوية بن المهلب فلما وصل العراق أمر صالح بن عبد الرحمن بسجنه بواسط ، حيث توفي بعد أن تعرض للتعذيب على ايدي اعوان صالح واعداء الحجاج[١٠٩]. وقد امتدت خلافة سليمان سنتان وثمانية أشهر ، حيث ادركته الوفاة في العاشر من شهر صفر سنة ٩٩هـ ، وكان مقيما بدابق يستعد لتوجيه الجيوش الى القسطنطينية مددا لمسلمة بن عبد الملك .

خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ - ١٠١ هـ) :

ألت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز بن مروان بعهد من سليمان بن عبد الملك الذي خالف في ذلك سنة أسلافه من خلفاء بني أمية فلم يجعل الخلافة لاحد من ابنائه أو أبناء عبد الملك ، وذكر المؤرخون أن سليمان استشار رجاء بن حيرة وغيره من شيوخ أهل الشام فنصحوه ان يستخلف عمر بن عبد العزيز ومن بعده ليزيد بن عبد الملك والواقع أن من اهم الاسباب التي دفعت سليمان الى تولية عمر الخلافة من بعده موقف الأخير من محاولة الوليد اقصاء سليمان عن ولاية العهد وجعلها لولده عبد العزيز، فقد رفض عمر ذلك بشدة وقال : "ان لسليمان في اعناقنا بيعة مما حدا بالوليد الى وضعه بحجرة وسد عليه النوافذ ، فشفع فيه بعد ثلاثة أيام وكان قد أشرف على الموت[١١٠]هذا بالاضافة الى ما اشتهر به عمر من التقوى والتمسك بالدين الحنيف ، وحرصه على حفظ التوازن بين المضربين والحميرين وقد تمير عهد عمربن عبدالعزيز بتحقيق العدل والمساواة والحرص على مصالح المسلمين ومحاسبة الولاة ، وعزل من عرف منهم بسوء سياسته وظلمه للناس ، ومن أهم الاعمال التي أقدم عليها عمر بن عبد العزيز : الغاء ضريبـــة الجزية (الرأس) التي كانت تجبى من

---

١٠٨ – المقري نفح الطيب ج١ ص ١٨٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٣ص ٣٧ سيديو مختصر تاريخ العرب ص ١٠٣ .

١٠٩– البلاذري، فتوح البلدان ص٤٣٧–٤٣٨.

١١٠ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

المسلمين غير العرب ، ومنـــح الداخلين في الاسلام هبات من المال ، كما أوجد حلا لمسألة الخراج ،

فرأى أن لا يؤخذ ممن اسلم بحكم انه جزية في الأصل وانما أبقى على الأرض على أنها من فيئ المسلمين ولم يعد هناك ارض مملوكة لإصحابها وانما تعود ملكيتها إلى الدولة واكد ان الخراج يدفعة من استغل الأرض الخراجية ، سواء أكان مسلما أو غير مسلم ، عربيا او مولى وجعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء ، ونظم أيضا مسألة دفع المسلمين (الزكاة) ، وخصص جزءاً منها للمؤلفة قلوبهم كما ينص القرآن الكريم بقصد الترغيب في الاسلام وجعل خمس الغنائم للمسلمين وليس للخليفة[١١١]

وقد أتت هذه السياسة الاصلاحية ثمارها فاقبلت الشعوب المحررة في المشرق على اعتناق الاسلام ، فانتشر انتشارا واسعا في اقليم خراسان وكتب عمر الى ملوك بلاد ماوراء النهر يدعوهم الى الاسلام فاستجاب عدد منهم لهذه الدعوة وارسلوا يعلنون اسلامهم ، كما اعتنقت الاسلام جموع كبيرة من الاتراك الوثنيين في تلك النواحي ، وعرض عمر بن عبد العزيز على ملوك السند أن يقرهم على ملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إذا ما اعتنقوا الاسلام ، فأسلم حبيشة بن زاهر وبقية ملوك السند

وتسموا بأسماء عربية[١١٢]وقد حظر عمر بن عبدالعزيزعلى بني أمية أن يأخذوا من بيت المال شيئا كما كان الحال في عهد اسلافه ، ولم يكتف بذلك فحسب بل أمر برد الأراضي التي كانت بحوزتهم إلى بيت المال وبدأ بنفسه فرد ما كان قد ورثه عن اجداده من اراضي واملاك في خيبر وغيرها[١١٣]

وأقدم الخليفة عمر بن عبد العزيز على احداث عدد من التغيرات فـــي المناصب الادارية في الامصار ، مستهدفا تحقيق المساواة واشاعة العدل بين المسلمين كافة ، فعزل يزيد بن المهلب عن ولاية العراق ، وولى عدي بن أرطأة الغزاري على البصرة ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب على الكوفة ، وعين الجراح بن عبد الله الحكمي واليا على خراسان ، اما في الجناح الغربي من الدولة العربية فقد ولى أسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر على المغرب وبعث معه عشرة رجال من التابعين لتفقيه أهل أفريقية في الدين ، كما أسند ولاية الاندلس الى السمح بن مالك الخولاني وأمره بتجديد قنطرة الوادي الكبير ، وأن يخرج الخمس من أرض قرطبة ويجعلها مقبرة للمسلمين، كما عهد إليه باعادة تنظيم الشؤون المالية والادارية فقـام باحصاء الاجناس البشرية والمذاهب التي كانت تقطن البلاد ، واجـرى مسحا لبلاد الاندلس بين فيه طبيعة أرضها ومنتجاتها ومواردها ، كما بنى مسجدا جامعا في مدينة

١١١رشيد الجميلي دور العرب الثقافي والحضاري في المشرق الاسلامي ، مجلة أداب المستنصرية ١٩٨٢ ص ١٢٠

١١٢– البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٣٦ ابن الأثير ، الكامل ج٤ ص١٢٤

١١٣– السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص٢٧٣

سرقسطة ورمم عددا من الجسور والقناطر بغزوتين وراء جبال البرانس الأولى في سنة ١٠٠هـــ وقد فتحت خلالها مدينة أربونة ، اما الثانية فكانت فى ذى الحجة من سنة ١٠٢هـ بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وقد وصل المسلمون في ذلك الغزو الى مدينة تولوز وانتهت بمصرع السمح بن مالك الخولاني[١١٤]

الخوارج في عهد عمر بن عبد العزيز :

كان للهزائم التي مني بها الخوارج خلال عهد الحجاج اثرها في تحجيم حركتهم وخمودها لسنوات التي سبقت خلافة عمر بن عبد العزيز ويبدو أن السياسة السلمية التي انتهجها الأخير نحوهم قد شجعتهم على استئناف نشاطهم وحمل السلاح ضد السلطة فقد كان عمر قد أحسن معاملتهم وحرص على ردهم الى جادة الصواب فخاب ظنه فيهم ، ولم تفلح سياسة التساهل معهم فاعلنوا خروجهم على حكمه في العراق فلما بلغه ذلك أمر عامله هناك أن يدعوهم الى الالتزام بحدود الله، وان لا يبدأ بقتالهم إلا إذا سفكوا دما أو أفسدوا في الأرض ، ثم أرسل اليهم كتبا يحثهم فيها على ترك العصيان ، وذكرهم بآيات الله التي تحرم انتهاك الحرمات وسفك الدماء ، وهددهم بأنه لن يتوانى عن حربة واستعمال الشدة إلا أنهم لم يلتفتوا إلى ندائه ، فحلقوا رؤوسهم ومضوا الى القتال ، فأذن عمر لعامله في العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن بقتلهم ،الا أن الأخير انهزم امام الخوارج ، فسارع الخليفة الى ارسال مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش أهل الشام فهزمهم وشتت شملهم[١١٥]

خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ - ١٠٥ هـ) :

تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز في رجب ، من سنة ١٠١ هـ ، ولم يلتزم يزيد بسياسة سلفه في حفظ التوازن بين القبائل العربية ، فاظهر ميلا واضحا نحوالمضرية ، مما أدى الى اثارة كوامن الحقد بين المضريين والحمريين (القيسية واليمينية) واندلاع الحروب الداخلية التي أسهمت في اضعاف الدولة الأموية وعجلت في سقوطها ، فعلى الرغم من المحاولات الاصلاحية التي قام بها عمر بن عبد العزيز فأن المشاكل التي واجهها استمرت بعد وفاته ، وزدادت تعقيدا في بعض الاحوال ، فقد كانت سياسته في تشجيع اهل المشرق في اعتناق الاسلام قد أدت الى ازدياد عدد الموالي باطراد ، وقوى معه الشعور بضرورة المشاركة في الادارة والمساواة في العطاء على الجبهتين الشرقية والغربية ، في نفس الوقت الذي نشطت فيه الاحزاب السياسية وازدادت قوة وتغلغلا بين القبائل وقد ساعدها على ذلك توقف حركة الفتوح واستقرار العرب في المدن وما نجم عن ذلك من تغييرات اجتماعية في

١١٤– سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ص١٣١محمد اسعد اطلس ، تاريخ ص١٣٤ عمر فروخ ، تاريخ صدر الاسلام ص١٧٠–١٧١

١١٥– نايف معروف ، الخوارج ص ١٧٣ .

حياتهم الحضرية الجديدة ، كما ازدادت العصبية القبلية حدة في هذه الفترة لتأخذ صيغة التكتل السياسي والصراع على السلطة بين القيسية واليمنية ، ولم يعد بالامكان حفظ التوازن بينهما[١١٦]

ومن أبرز الاحداث في عصر يزيد الثاني خروج يزيد بن المهلب بـــن أبي صفرة في العراق ، وكان عمر بن عبد العزيز قد سجنه في حلب فلما توفى الأخير ، خشي يزيده بن المهلب انتقام الملك الجديد فهرب من السجن ولجأ الى البصرة وأخرج اخوته من السجن وانضمت اليه قبيلته من أزد عمان وحلفاؤها من ربيعة وجماعة من الخوارج والمرجئة وقسم من بني تميم وجموع كبيرة من الموالي ، ولم يتمكن عدي بن أرطأة والي البصرة من الوقوف في وجه يزيد بن المهلب ، فأسرع يزيد الثاني بارسال قوة كبيرة من أهل الشام على رأسها أخيه مسلمة بن عبد الملك وعباس بن الوليد ، فدارت بين الطرفين معركة عنيفة في العقر بالقرب من كربلاء اسفرت عن انتصار مسلمة ومصرع يزيد بن المهلب واخيه حبيب وأسر عدد من آل بيته في صفر من سنة١٠٢هـ[١١٧]

وقد ترك قتل آل المهلب أثار خطيرة على الحكم الأموي في العراق والمشرق الاسلامي أدت الى تقويض دعائم الخلافة الأموية ، فقد اشعلت نيزان الفتنة بين اليمينية والقيسية وعمت الاضطرابات في أرجاء الدولة ، مما هيأ الفرصة لاعداء الأمويين لتحقيق اهدافها في القضاء على الخلافة الأموية ، مستغلين في ذلك اشتداد تيار المعارضة والاستياء العام الذي يكنه الموالي ضد الحكم الأموي ، نتيجة السياسة التعسفية التي مارسها بعض عمال بني أمية في الامصار الاسلامية . على أن الصراع بين القيسية واليمنية لم يقتصر على المشرق فحسب بل أمتد ليشمل المغرب والأندلس وكان في مقدمة العوامل التي أدت الى خروج العرب من تلك البلاد ، وفي عهد يزيد اشتد خطر الخوارج على الكوفة فشكا أهلها الى مسلمة بن عبد الملك وأبدوا تخوفهم من الخوارج الذين يتزعمهم بسطام الملقب شوذب ، مما دعى مسلمة الى تجهيز جيش كبير بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي ، الذي تمكن من القضاء على الخوارج وقتل زعيمهم شوذب ، وكان لهذا الانتصار أثرة في خمود حركة الخوارج طوال خلافة هشام بن عبد الملك[١١٨]

١١٦– عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٥٣ .

١١٧– كان يزيد بن عبد الملك متزوجا من أبنة أخي الحجاج بن يوسف الثقفي وقد سبق لابـن المهلب أن استعمل الشدة ضد آل الحجاج وبطش بأهلها على الرغم من توسط يزيـد بـن عبد الملك الذي كان واليا في خلافة عمر بن عبد العزيز .

١١٨– الطبري ، ج٨ص١٤٢

أ – ثورة زيد بن علي زين العابدين :

ظل العراقي يمثل مصدر خطر دائم على الخلافة الأموية بسبب احتضانه لعدد من الأحزاب والحركات التي حملت لواء المعارضة ضد الأمويين ، وقد حاول هشام بن عبد الملك تهدئه الأوضاع في العراق فأقدم على عزل عامله عمر بن هبيرة وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري الذي نجح في كبح جماح الجماعات المناوئة للأمويين والحد من نشاط القيسية ، وفي نفس الوقت أبدى اهتماما خاصا بمعالجة الاوضاع الاقتصادية في العراق من خلال القيام بعدد من المشاريع التي تناولت شؤون الزراعة وتحسين وسائل الري واستصلاح الأراضي الزراعية ، وقد استمرت ولاية خالد القسري على العراق خمسة عشرعاما حيث أمر هشام بن عبد الملك بعزله في سنة ١٢٠ هـ وعين يوسف بن عمر الثقفي وكان من اقرباء الحجاج ، فأدى ذلك الى تصاعد الصراع القبلي بسبب ميول يوسف الى القيسية ، وازدياد مظاهر السخط و العداء ضد الأمويين وفي عهد الوالي الجديد قامت ثورة زيد بن علي بن زين العابدين ، وكان الأخير مقيما في الكوفة ، فوجه اليه يوسف بن عمر تهمة الاستحواذ على بعض الأموال باعتراف يزيد بن خالد القسري الذي كان آنذاك سجينا بالكوفة ، فتوجه زيد بن علي الى دمشق لمواجهة الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك الذي ساله عن الأموال التي حصل عليها، فانكر زيد ذلك ، وخرج ساخطا منه

خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ - ١٢٥ هـ) :

تولى هشام بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة أخيه يزيد في شعبان من سنة ١٠٥ هـ ، وقد أمتنت خلافته نحوا من عشرين عاما ، قام خلالها ببعض الاصلاحات الداخلية ، فأهتم بالجيش وعمل على تدعيم قوته ، وحصن الثغور في مواجهه الروم ونظم ديوان الخراج كما نشطت الحركة العلمية في عهده فترجمت عدة كتب الى اللغة العربية ، وظهرت مؤلفات تناولت مواضيع مختلفة ، أما عن السياسة الخارجية فقد استؤنفت حركة الفتوحات في المشرق وتوغل العرب في بلاد ماوراء النهر ، في نفس الوقت الذي واصلوا فيه تقدمهم داخل بلاد الاندلس ، أما في الجبهة البيزنطية فقد استطاع العرب التوغل داخل آسيا الصغرى وحاولوا الاستيلاء على القسطنطينية منتهزين الصراع الداخلي الذي تفجر بين الروم نتيجة الحركة الايقونية[١١٩] على أن عصر هشام شهد عدد من الثورات وحركات المعارضة ضد الحكم الأموي واجتاحت الاضطرابات اقاليم المشرق والمغرب واشتدت حدة الصراع بين القيسية واليمنية وفيمايلي أهم الاحداث التي واجهت هشام بن عبد الملك الخليفة[١٢٠]، وعاد الى الكوفة حيث قرر

١١٩– يقصد بالحركة الأيقونية دعوة الامبراطور ليون الثالث الى منع عبادة صور المسيح ومريم العذراء.

١٢٠– ذكر المسعودي أن زيدا دخل على هشام فلم يحفل به فجلس حيث انتهى به المجلس ، قال " يا أمير المؤمنين ليس احد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله ، فانتهره هشام وقال له : أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وانت ابن أمة مروج الذهب ج ٢ص ١٨١.

الرحيل إلى الحجاز ليكون بعيدا عن أعين الأمويين ، إلا ان انصاره في الكوفة حرضوه على الثورة وقالوا له :" انا لنرجوا ان تكون المنصور وان يكون هذا الزمان الذي يهلك فية بنو أمية[١٢١] وكان زيد يحدث نفسه بالخلافة ويطمح إليها ، إلا أنه لم يكن يثق بأهل الكوفة لاسيما وأن عددا من أهل بيته قـد نصحوه بألا يقدم

على الثورة وخوفوه من مغبة الاعتماد على أهل الكوفة ، وهذا ما يفسر قوله لهم : " أني اخاف غدركم ، فانتم فعلتم بجدي الحسين ما فعلتم " إلا أنهم ألحو عليه مؤكدين اصرارهم على الوقوف الى جانبه وبذل نفوسهم من اجل انجاح هذه الثورة ، ويبدو أن يوسف بن عمر الثقفي كان يتتبع خطوات زيد ويرصد تحركاته على الرغم من الاحتياطات التي اتخذها الأخير ولجوئه الى تغيير مكان اقامته أكثر من مرة[١٢٢]، وتوافد عليه انصاره من المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان ، وبلغ عدد من مؤيديه من أهل الكوفة خمسة عشرالفا ، فاعلن الثورة على الأمويين وبايعه أهل الكوفة على كتاب الله وسنة نبيه ، والدفاع عن الضعفاء ، ورد العطاء الى من سلب منهم ، وتوزيع الفيء بعدل بين مستحقيه وأعادة المجاهدين فى الجبهات النائية إلى بلادهم[١٢٣]، وفي الوقت الذي تأهب فيه يوسف بن عمرلقتال زيد ، انفصل عن الأخير معظم اصحابه من الشيعة الذين دفعوه إلى الثورة بسبب إقراره بشرعية خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب واتهموه بالتفريط بحقوق آل البيت في خلافة رسول اله صلى الله عليه وسلم ، وقد عرف هؤلاء بالرافضة ، وهكذا واجه زيد جيش الوالي الأموي ولم يثبت معه سوى مئتين من مؤيديه فلقي مصرعه وقتل جميع من كان معه وتمكن ولده بحيى الهروب الى خراسان ، إلا أنه لم يستطيع الافلات من قبضة ولاة بني أمية فطاردته جيوش نصر بن يسار وظفرت به في الجوزجان فقتل مع من أنضم اليه من أهالي ذلك الاقليم في خلافة الوليد الثاني[١٢٤]. وقد شهدت مصر موجة من الاضطرابات قام بها الاقباط نتيجة السياسة المالية التي انتهجها عبيد الله بن الحبحاب الذي كان يتولى الخراج في عهد الحر بن يؤسف والي مصر من قبل هشام بن عبد الملك ، وقد أحدث الحبحاب زيادة في ضريبة الخراج فثار الاقباط في الدلتا وقرى الصعيد ، مما اضطر الحر بن يوسف إلى محاربتهم واعادة الأمن والاستقرار الى البلاد[١٢٥]

١٢١– الطبري ، ج٨ص ٣٦٤ .

١٢٢– نفس المصدر ، ج٨ ص ٢٦٤ – ٢٦٧ .
١٢٣– الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٤٧.
١٢٤– الطبري ، ج٨ ص ٣٠٠–٣٠١ .
١٢٥– الكندي ، الولاة والقضاة ص١٧٣ ، المقريزي ، الخطط ج١ص٧٩.

ب – أحداث المغرب :

اجتاحت بلاد المغرب أواخر عهد هشام بن عبدالملك موجة عارمة من الثورات التي قام بها البربر معبرين بذلك عن سخطهم على السياسة التي يتبعها ولاة بني أمية الذين أسرفوا في فرض الضرائب وجمع الأموال ، مما أدى الى تذمر السكان وتطلعهم للخلاص من وطأة الظروف التي يقاسونها ورفعوا شعارات الاصلاح والمساواة ، وبلغ هذا التذمر ذروته في سنة ١٢٢ هـ عندما تزعم ميسرة المضغري ثورة البربر حول طنجة من أرض المغرب الاقصى ، وتمكن الثوار من الفتك بعامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي ، واسماعيل بن عبيد الله ابن الحبحاب عامل اقليم السوس ، وقد حاول عبيد الله بن الحبحاب التصدي لهذه الثورة غير أن جيشه مني بهزيمة فادحة في الموقعة التي عرفت بموقعة الأشراف ، ولما بلغت انباء هذه الكارثة الى هشام بن عبد الملك، أمر بعزل الحبحاب، وانفذ كلثوم بن عياض القشيري في اثني عشر الفا من عرب الشام ، فوصل المغرب في سنة ١٢٣ هـ ، والتقى بمجموعة الثائرين من البربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي الخارجي في ذي الحجة من السنة المذكورة ، فلقي كلثوم القشيري مصرعه وأنهزم جيشه وتمكن بلج بن بشر من الانسحاب بفلول الجيش الى منطقة سبته ثم توجه بعدها الى الاندلس حيث انضم الى عبدالملك بن قطن في قتال البربر ، وشارك في رسم الاحداث السياسية في االاندلس[١٢٦]على أن هزيمة جيش كلثوم لم يمنع الخليفة الأموي من ارسال قوز جديدة الى المغرب بقيادة حنظلة بن صفوان الذي نجح في هزيمة الخوارج الصفرية بالقرب من القيروان سنة ١٢٤ هـ ، ثم واصل بعدها تقدمه الي المغرب ، وحقق سلسلة من الانتصارات اعادت البلاد الى حظيرة الدولة الأموية[١٢٧]

١٢٦– ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٧ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ج ص ٥٢ –

١٢٧– لمزيد من التفاصيل حول هذه المرحلة . من تاريخ المغرب انظر : د. سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، سالم ، المغرب الكبير ج ، حسن علي حسن : تاريخ

وفاة هشام بن عبد الملك :

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٥ هـ توفي هشام بن عبد الملك بعد حكم دام عشرون عاما ، وقد بلغت الدولة العربية في عهده اقصى اتساعها فامتدت حدودها من شواطىء المحيط الاطلسي والاندلس غربا الى كاث على حدود الصين شرقا ، وتعتبر خلافة هشام خاتمة العصر الذهبي للدولة الأموية فقد اعتبر المؤرخون هشاما ثالث الساسة من خلفاء بني أمية بعد معاوية وعبد الملك بن مروان ، وقد وصفه بن طباطبا بأنه كان غزير العقل ، حليما حنيفا واجتمع له من الاموال مالم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام[١٢٨]

خلافة مروان بن محمد وسقوط الدولة الأموية

بويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالخلافة بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك ، وكان عهده بداية النهاية بالنسبة للخلافة الأموية في الشام ، حيث تعاقب على الحكم أربعة خلفاء لم يمتد حكم الثلاثة الأوائل منهم أكثر من سنتين ثم سقطت في عهد أخرهم مروان بن محمد[١٢٩]وشهدت هذه المرحلة من تاريخ الخلافة الأموية تطورا خطيرا في مجرى الأحداث ، كان من أهم مظاهره تعاظم نشاط العباسيين وخروجهم من السر الى العلانية ومواجهتهم للامويين بكل قوة وصلابة ، وفشلت محاولات الامويين في التصدي لاعدائهم واستنزفت ما تبقى لديهم من طاقات وامكانات ، فتوالت هزائمهم وجرت تصفية انصارهم وقضي على نفوذهم في المشرق كمرحلة أولى من مراحل الصراع ضد الخلافة الأموية .

ولم تتوفر في الوليد بن يزيد صفات معاوية أوعبد الملك بن مروان ، فقد عرف بانصرافه الى اللهو وعزوفه عن شؤون البلاد ، وزاد الأمر سوء بإشعاله الفتنة من جديد بين اليمنية والقيسية بسبب سياسة التعصب القبلي التي انتهجها خلال خلافته القصيرة والتي لم تستمر أكثر من سنة وشهرين وأياما ، فقد ثار عليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ودخل دمشق واستولى على بيت المال ثم أرسل فرقة لقتال الوليد الذي اعتصم بقصره في تدمر ولم يلبث أن قتل في أواخر شهر جمادي الأول سنة١٢٦هـ[١٣٠] هكذا أصبح يزيد بن الوليد خليفة في الوقت الذي كانت الثورات تحتاج معظم اتحاء الدولة العربية ، حتى أن كثيرا من مناطق الشام نفسها لم تعترف بخلافته ، فقد خلع أهل حمص الطاعة وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير، فسير يزيد اليهم اخاه مسرورا فقاتلهم وأوقع بهم ، كما أعلن أهل فلسطين الثورة أيضا وطردوا عامله وولوا مكانه محمد بن عبد الملك ، فأرسل يزيد اليهم جيشا بقيادة يزيد بن سليمان بن هشام

١٢٨– نظر: ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ص ١١٥.

١٢٩– الخلفاء الثلاثة:الوليد،ويزيد الثالث ، وابراهيم بن الوليد ، اما الرابع فهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

١٣٠– الخليفة بن خياط ، تاريخ ج٢ ص ٥٥٠ ، ابن الاثير ، الكامل جـ٥ص٢٨٦–٢٨٧.

السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص٣٥٠

فهزمهم وارغمهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد ، وعمت الاضطرابات اقليم خراسان وتصاعدت حدة الصراع بين اليمنية والقيسية وجرت بين الطرفين معارك ذهب ضحيتها الكثير من العرب في مختلف أرجاء الدولة ، وقد ساعدت هذه الظروف العباسيين على اظهار أمرهم فنشط دعاتهم ، وانحاز الناس اليهم ، فشرعوا في الاعداد للمواجهة الحاسمة مع الأمويين وبات نصرهم قريب .

ولم تمض على خلافة يزيد سوى ستة أشهر حتى أدركته الوفاة في ذي الحجة من سنة ١٢٦ هـ ، فقام بالأمر بعده أخوه ابراهيم بن الوليد الذي لم يعترف المسلمون خارج دمشق بخلافته ، وكان مروان بن محمد آنذاك واليا على اقليم الجزيرة والموصل وأرمينية ، وما أن علم بوفاة يزيد حتى اسرع في الزحف نحو دمشق على رأس جيش كبير من أهل الجزيرة ومن انضم اليهم من القيسية في حمص وقسرين، وتمكن مروان من هزيمة الجيش الذي أرسله ابراهيم بن الوليد بقيادة سليمان بن هشام بن عبد الملك ، ثم دخل دمشق في أواخر صفر سنة ١٢٧هـ ، فبايعه أهلها بالخلافة ، ثم قرر العودة الى حران حيث يكثر انصاره من القيسية هناك وجعلها عاصمة لخلافته ، مخالفا بهذا سنة استخلافة مـــن خلفاء بني أمية الذين اتخذوا دمشق عاصمة لهم ويبدو أن مروان لم يكن يطمئن الى اليمنية الذين كانوا يشكلون الغالبية فى دمشق ، ولاشك انه ارتكب خطئا كبيرا حين أقدم على هذه الخطوة ، فقد أثار حفيظة اليمنية وأغضب قبيلة كلب التي رأت أن نقل مركز الخلافة يستهدف ابعادم عن النفوذ والسلطان ، كما أن تعصب الخليفة الجديد للقيسية اذكى نيران الصراع بين العصبيات القبلية وزاد من ثقل الهموم والمشاكل الخطيرة التي باتت تواجهها الدولة الأموية في هذه المرحلة . وقد اضطر مروان الى استعمال الشدة ضد قبيلة كلب بدمشق وضواحيها وتمكن من اخضاعهم وضمهم الى قواته التي كانت تستعد للمسير نحو العراق ، إلا أنه اضطر للتوقف لمواجهة ثورة سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي استولى على قنسرين في أواخر سنة ١٢٦هـ، غير أن سليمان هذا انهزم امام جيوش مروان وتوجه الى الكوفة ثم مالبث ان عاد وطلب العفو من الخليفة وأقام معه بحران[١٣١] وامتدت الثورات الى باقي مدن الشام فشملت فلسطين وحمص وجهات طبرية وتدمر فواجهها مروان بحزم وشدة ونجح في اخمادها جميعا ،واعادها إلى حظيرة الخلافة الأموية .

١٣١– ابن الاثير الكامل ج٥ص٣٧١–٢٨٨

وشهد العراق أيضا ثورة خطيرة تزعمها عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب في الكوفة سنة ١٢٦ هـ ، فتصدى له والي الكوفة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وكان آنذاك يقيم في الحيرة ، مع عسكر من أهل الشام ، وقبل نشوب القتال انسحب عن عبد الله بن جعفر معظم انصاره ، ولم يبقى سوى أتباعه من الزيدية ورجال من ربيعة ، وبعد عدة أيام من المعارك التي دارت داخل مدينة الكوفة منح عامل الأمويين الأمان لعبد الله بن جعفر واتباعه ، وسمح له بمغادرة الكوفة ، فرحل الى فارس حيث توافد عليه الانصار من مختلف النواحي ، وتمكن من فرض سيطرته على حلوان وقومس واصبهان والري ، كما انضم اليه الخوارج الذين اجلاهم مروان بن محمد عن الموصل والجزيرة ، غير أن عبدالله لم يتمكن من الصمود أمام قوات مروان فانهزم الى هراة واتصل بأبي مسلم الخراساني الذي كان يدعو لآل البيت ، إلا أن ابا مسلم قبض على عبد الله وقتله في سنة ١٣٠هـ[١٣٢].

الخوارج في عهد مروان بن محمد :

استغل الخوارج انشغال الأمويين بعد مقتل الوليد بن يزيد في جمادي الثاني سنة ١٢٦هـ ، وما اعقب ذلك من انقسام الأمويين على أنفسهم ، فخرجوا بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني الذي اشتد أمره بعد أنضمام الصفرية الى جانبه ، فزحف نحو الكوفة ، وتمكن من هزيمة النضر بن سعيد الحرشس وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة ١٢٧ هـ وفرض سيطرته على العراق ، مما اضطر مروان الى المسير بنفسه بعد فشل ولده عبد الله في القضاء على الضحاك ، ودارت معركة عنيفة بين جيش الشام وجموع الخوارج بقيادة الضحاك بين كفر توثا ورأس العين من أقليم الجزيرة ، فانتصر مروان انتصارا حاسما وانهزم الخوارج وقتل الضحاك في سنة ١٢٨ هـ ، فاجتمعت فلول الخوارج على شيبان الحروري الذ سار بهم الى الموصل فتعقبهم مروان وشرع بقتالهم وفي هذه الاثناء تمكن يزيد بن عمر بن هبيرة من هزيمة الخوارج الكوفة في رمضان من سنة ١٢٩هـ ، فأرسل مروان الى يزيد يطلب امداده بفرقة من عساكر الشام ، فسير اليه فرقة بقيادة عامر بن صبارة الذي هزم الخوارج وتعقبهم الى كرمان واوقع بهم هزيمة نكراء هرب على أثرها الشيباني الحروري إلى سجستان حيث هلك هناك في سنة ١٣٠ هـ[١٣٣].

ولم يكن العراق وحده مسرح الحركات الخوارج بل أمتد خطرهم الـــى حضرموت حيث الأباضية هناك بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي [١٣٤]، الذي عرف بلقب (طالب الحق) ، كما خاطبه اصحابه بأمير المؤمنين ،

١٣٢– ابن الأثير ، الكامل ج ج ص ٣٧١ – ٣٧٢ .

١٣٣– نايف معروف ، الخوارج في العصر الأموي ، ص ١٧٨ – ١٨٠ .

١٣٤– كان المختار بن عوف الازدي السلمي هو من أهل البصرة يعرف باسم أبي حمزه الخارجي وقد التقى اواخر سنة ١٢٨هـ بعبدالله بن يحيى الكندي في مكة وكان الأخير من الأنانية ، فدعا عبدالله الى قومه في حضرموت حيث بايعه أبو حمزة أمير المؤمنين ،انظر الاصفهاني ، الاغاني ج٣٠ ص ٩٩ .

وقد تمكن عبد الله من السيطرة على صنعاء بالأضافة الى حضرموت ، ثم لم يلبث أن دخل مكة وزحف نحو المدينة ودخلها في صفر سنة ١٣٠هـ بعد انتصاره على أهلها في موقعة فريد ، فسير مروان جيشا بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطيه السعدي في أربعة الآف من الفرسان ، فالحق بالخوارج هزيمة كبيرة في جمادي الأول من سنة ١٣٠ هـ ثم تقدم نحو اليمن لقتال رأس الخوارج عبدالله بن يحيى ، فدارت بينهما معركة كبيرة انتهت بهزيمة الخوارج ومصرع عبدالله بن يحيى ودخول عبد الملك مدينة صنعاء تم عزم الأخير على التوجه الى حضرموت لقتال الخوارج ، فورد عليه أمر الخليفة بالتوجه الى مكة ليحج بالناس ، فلقي عبد الملك مصرعه وهو في الطريق الى مكة على يد جماعة من الأباضية الذين بعثوا برأسه الى حضرموت ، فلما علم عامله على صنعاء بالخبر أسرع بأرسال جنده وأمرهم بقتل كل من اشترك في الهجوم على جيش عبد الملك ، ولم يدع أحدا من الأباضية في تلك النواحي[١٣٥].

قيام الثورة العباسية :

قبل الحديث عن سقوط الخلافة الأموية على أيدي العباسيين في عهد مروان ابن محمد لابد من التأكيد هنا على أن عوامل الانهيار لم تظهر من فجأة خلال تلك الفترة من تأريخ الدولة الأموية ، بل كانت حصيلة السنوات السابقة التي رافقت قيام الخلافة الأموية ، حيث واجه الأمويون العديد من الثورات وحركات المعارضة التي عمت معظم انحاء الدولة العربية ، وقد تمكن الخلفاء الأوائل من القضاء على تلك الثورات وكبح جماح قوى المعارضة آنذاك

وكانت المعارضة قد أخذت على الأمويين خروجهم على مبدأ الشورى الذي سار عليه المسلمون في عصر الراشدين ، واعتمادهم مبدأ الوراثة في الحكم ، والعودة الى المفاهيم القبلية ، بالأضافة الى السياسة التعسفية التي اتبعها بعض ولاتهم نحو الامصار الاسلامية مما أدى إلى انتشار التذمر الاقتصادي والاجتماعي بين الموالي ، وقد استفاد العباسيون من هذه الظروف وضموا اليهم جميع العناصر المعادية للأمويين ، ورفعوا شعارات تتفق مع التحول الحاصل في المجتمع مما يتطلع اليه من تغيير، فأكدوا على التمسك بالكتاب والسنة وتحقيق المساواة بين المسلمين كافة واشراك الموالي في ادارة شؤون الدولة ، وكانوا العباسيون يظهرون الدعوة " للرضى من آل البيت " ولم يجهروا بالدعوة لامام عباسي وان كان الدعاة أنفسهم على معرفة بهذا الأمر[١٣٦]وكان العباسيون قد ادعوا فيما بعد أن الأمام أبا هاشم بن محمد بن على بن أبي طالب المعروف بابن الحنيفة قد تنازل عن حقه في الخلافة التي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فتسلم الأخير زمام الدعوة ووقف على جميع الخطط والدعاية السرية التي كانت للشيعة الكيسانية وعرف اسماء الدعاة ، إلا أن العباسيين حرصوا

١٣٥– نايف معروف ، الخوارج فى العصر الأموي ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

١٣٦– الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٥٤ .

على أخفاء أهدافهم الحقيقية ، فلم تكن البيعة تؤخذ باسمهم ، وانما دعوا الى " الرضى من آل البيت ليضموا بذلك تأييد الشيعة العلوية واعداء الأمويين بوجه عام . ومن مقرة بالحميمة بدأ محمد بن علي يرسل الدعاة والنقباء والعمال نحو خراسان باعتبارها المكان الانسب لنشر الدعوة حيث تتواجد الأكثرية الساحقة من العناصر الساخطة على الحكم الأموي من عرب وموالي من جهة وبعدها عن مركز الخلافة من جهة أخرى ، كما اتخذ العباسيون من الكوفة مركزا للدعوة ومقرا لكبير الدعاة ، ومن الشخصيات التي لعبت دورا في مساندة الدعوة العباسية فيها شخصية بكير بن ماهان و بعده صهره أبو سلمة الخلال وبعد وفاة الامام محمد بن علي بالحميمة سنة ١٢٥ هـ تولى أمر الدعوة من بعده أخوه ابراهيم الذي اتصل بابي مسلم الخراساني وكان مبدأ نشط المتحمسين لال البيت وعدوا لدودا للامويين ، فجعله رئيسا للدعاة في الكوفة ، فعــمل ابومسلم على كسب ولاء جميع الفئات التى كانت تدعو الى الاصلاح وتتطلع إلى تغيير الأوضاع . وكانت الظروف التي تمر بها الخلافة الأموية آنذاك قد ساعدت أبي مسلم على تحقيق اهدافه وتنفيذ مخططاته دون أن يواجه في ذلك صعوبات كبيرة ، فقد كان مروان بن محمد منشغلا بقتال الخوارج في حين انهمك نصر بن يسار عامله على خراسان في اخماد الفتنة التي أثارها جديع بن شبيب الأزدي زعيم اليمنية الملقب بالكرماني ، فاعلن أبو مسلم الثورة بمرو في ٢٥ رمضان من سنة ١٢٩ هـ ، ورفعت الاعلام العباسية ، وانهزمت القوات التي ارسلها نصر بن سيار لأخماد الثورة ، وبفضل الأنقسام الذي ظهر بين القبائل العربية في خراسان تهيأ لأبي مسلم السيطرة على معظم مدن وقرى اقليم خراسان بعد أن اضطرت قوات نصر بن سيار إلى التقهقر نحو نيسابور ، ثم حدث تطور هام في مراكز القيادة للثورة العباسية ، فقد أقدم ابراهيم الامام على اسناد مهمة قيادة القوات العباسية الى قائد عربي هو قحطبة بن شبيبب الطائي وجعل اليه القيادة والعزل والاستعمال[١٣٧].

ويبدو أن القيادة العباسية لم تكن ترغب أن يتم اقتحام العراق والشام ومصر على يد قائد أعجمي وانما بقيادة عربية خالصة ، ادراكا منها لما سوف ينجم عن ذلك من أثار سلبية لا تخدم مصالح الثورة العباسية[١٣٨]والواقع أن عروبة الثورة العباسية كانت من أهم ملامحها منذ البدايات الأولى فحين ننظر الى مجلس النقباء في خراسان وهو من اثني عشر نجد أن الموالي فيه كان مبدئيا ثلاثة والباقون عرب ، ثــم نقص عدد الموالي الى واحد وهذا يعني أن القيادة كانت عربية صريحة وهذا ما تحتمه طبيعة الصراع حول السلطة آنذاك وهو صراع بين العرب ، وأن مدى الاستجابة لجهة أو أخر أخرى يتوقف على الاهداف والاتجاهات الرئيسية وقد كانت القيادة العسكرية للقوات العباسية عربية وبقيت عربية خلال الثورة العباسية كما أن قواتهم اشتملت على العرب إلا أن ذلك لا يمنع من أن يكون اعداد كبيرة من الفرس قد انضموا الى

١٣٧– الطبري ، ج٩ص ١٠٤ .

١٣٨– حسن احمد محمود ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص٥٩.

الثورة وقاتلوا ضد اعدائها فان هذه الظاهرة ليست جديدة ولم تكن الأولى من نوعها على صعيد الاحداث التي شهدتها الدولة العربية خلال العصر الأموي فقد شاركت اعداد كبيرة من الموالي في ثورة ابن الاشعث ثم في ثورة عبد الله بن معاوية في الكوفة سنة ١٢٦هـ[١٣٩] وقد تمكن قحطبة من دخول نيسابور بعد انسحاب نصر بن سيار عنها الى جرجان حيث ادركته قوات العباسيين وانزلت به هزيمة نكراء في ذي العقدة من سنة ١٣١ هـ ، على الرغم من الامدادات التي أرسلها يزيد بن هبيرة[١٤٠]الى نصر بن سيار، فقد تمكن العباسييون من تمزيقها في موقعة اصبهان ودخل قحطبة نهاوند وسيطر على اقليم الجبل أما نصر بن سيار فقد ادركته الوفاة في الطريق بنواحي الـري أواخر سنة ١٣١هـ .

ولم يبق امام العباسيين بعد قضائهم على النفوذ الأموي في المشرق سوي الزحف نحو العراق وقد حرص قحطبة بن شبيب على تحاشى الاصطدام بقوات القائد الأموي يزيد بن هبيرة الا أن المواجهة ما لبثت أن حدثت بينهما على ضفاف الفرات ، وحقق العباسييون انتصارا كبيرا على الرغم من سقوط قائدهم قحطبة غريقا في النهر فتولى ولده الحسن القيادة من بعده ، وطارد قوات ابن هبيرة وأجبر الأخير على التحصن بمدينة واسط ثم واصل سيره الى الكوفة التي استعدت للقاء العباسيين ورفع أهلها الاعلام السود بعد أن طردوا عامل الأمويين من المدينة ودخل العباسييون الكوفة في المحرم من سنة ١٣٢هـ . حيث كشف ابو مسلم الخراساني أن الخلافة لأل العباس واعلن ابو سلمة الخلال أن الخليفة هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فبايعه الناس في الكوفة وكان ذلك بداية قيام الخلافة العباسية التي استمرت الى سنة٦٥٦ هـ[١٤١].

ولم يكن أمام الخليفة العباسي سوى اسدال الستار على الخلافة الأموية المتمثلة بمروان بن محمد فبعث عمه عبد الله بن علي على رأس جيش كبير فاشتبك معه على ضفاف نهر الزاب الأعلى بالقرب من الموصل فانهزم مروان ولحق بمصر إلا أن العباسيين طاردوه إلى هناك ولم يلبثوا أن ظفروا به في قرية بوصة بالأشمونين وقتلوه في ذي الحجة من سنة ١٣٢ هـ[١٤٢].

١٣٩– الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص٥٦.

١٤٠– عامل الأمويين على العراق .

١٤١– عندما وصلت اخبار هذه الهزيمة الى مروان بن محمد بادر الى تعذيب ابراهيم الامام قتله في سجله بحران وكان ابراهيم قد أوصى قبل وفاته لأخيه عبد الله بن محمد الذي عرف بابي العباس السفاح (ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ١١٩-١٢٠.

١٤٢– السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص٢٥٥.

الفصل الرابع

حركة التحرير والفتوحات العربية الاسلامية
خلال العصر الأموي

(الفصل الرابع)

حركة التحرير والفتوحات العربية الاسلامية في العصر الأموي :

استأنف المسلمون فتوحاتهم في العصر الاموي بعد توقف دام طيلة السنوات السابقة التي اجتاحت الدولة العربية خلالها الفتن والإضطرابات الداخلية ، وعادت حركة الفتوحات لتشهد انتصارات جديدة تمخضت عنها مكاسب عظيمة تمثلت في انتشار الاسلام وشيوع اللغة العربية في اقاليم المشرق والمغرب .

اولا : فتوح المشرق :

أبدى معاوية بن أبي سفيان اهتماما خاصا بشؤون المشرق الاسلامي ، فأمر بانشاء قواعد ثابتة في خراسان تقيم فيها العساكر الإسلامية بصورة دائمية لضمان السيطرة على ذلك الاقليم والانطلاق نحو باقي أقاليم المشرق ، فتوغل المسلمون في عهده في آسيا وفتحوا هراة وكابل، وقام عبد الله بن سوار العبدي بغزو القيقان من بلاد السند سنة ٤٣ هـ ، ثم قاد المهلب بن أبي صفرة في السنة التالية حمله كبيرة ، فغزا الأراضي الواقعة بين الملتان وكابل ووصل الى بلدة لاهور وذكور البلاذري أن معاوية ضم ولاية خراسان الى عبد الله بن عامر بالأضافة الى البصرة ، فجعل الأخير قيس بن الهيثم السلمي على خراسان ، فخرج لقتال أهل بادغيس وهراة وبوشنج وبلخ الذين نقضوا العهد مع المسلمين وأرغمهم على طلب الصلح ، غير أن قيسا لم ينل رضى عبدالله بن عامر فعزله عن الولاية وعين عبد الله بن خار فأرسل اليه أهل تلك المدن طالبين تجديد الصلح ومنحهم الأمان ، فصالحهم وحمل الأموال إلى عبد الله بن عامر[١٤٣] وقد تم استقرار العرب في نواحي المشرق خلال ولاية زياد بن أبيه على العراق، فقد ولى زياد خراسان الى الربيع بن زياد الحارثي سنة إحدى وخمسين) وحول معه من أهل المصرين – الكوفة والبصرة –زهاء خمسين ألفا بعيالاتهم ... واسكنهم دون النهر)[١٤٤]

وبعد وفاة زياد بن أبيه خلفه على خراسان ولده عبيد الله بن زياد ، فعبر نهر جيحون على رأس جيش كبير بلغ تعداده أربعة وعشرون الفاء وخاض معركة عنيفة مع الترك وأجبر ملكتهم (خاتون / على طلب الصلح ثم دخل بخارى، غير أن أهل هذه المدينة مالبثو أن نكثوا العهد، فاضطر سعيد بن عثمان بن عفان الذي خلف عبيد الله بن زياد الى محاربتهم ، فقاتلهم طيلة ثلاثة أيام ، واضطرهم على طلب الصلح ، ثم زحف بعد ذلك نحو مدينة ترمذ ففتحها صلحا ، غير أن سعيدا بن عثمان لم يلبث أن عزل عن ولاية خراسان بأمر من معاوية بن أبي سفيان، ويعلل البلاذري سبب أقدام

١٤٣– البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩٩ – ٤٠٠ .
١٤٤– نفس المصدر ، – – ص٤١٠

الخليفة على عزل سـعيد بقوله أن (معاوية قد خاف سـعيد على خلعه وذلك عاجله بالعزل)[١٤٥] إلا أن هذه الرواية لا يمكن الاستناد إليها ، فقد كانت تربط معاوية بسعيد أواصر القرابة والنسب ، بالأضافة إلى الظروف التي جعلت معاوية يظهر بمظهر المدافع عن عثمان بن عفان ويجرد الجيوش للأخذ بثاره ، فلا يعقل أن يضمر سعيد الكراهية لمعاوية ويسعى الى خلعه ولم يكن عزله عن الولاية بالحدث الغريب ، فقد رأينا تعاقب الولاة على خراسان وقد بسبب المشاكل والصعوبات التي كانت يثيرها أهل ذلك الأقليم في وجه العرب المسلمين وقد أسندت ولاية خراسان الى عبد الرحمن بن زياد فاستمر في حكمها حتى نهاية خلافة معاوية .

وفي سنة ٦١ هـ آلت خراسان الى سلم بن زياد ، فقام بعدة حملات في بلاد ماوراء النهر وأتى سمرقند فصالحه أهلها ، ثم بعث جيشا الى خجندة ، فمني هذا الجيش بهزيمة منكرة ، فعاد سلم الى مرو حيث استئناف حملاته فيما بعد ضد بلاد ماوراء ، غير أن العرب في خراسان انتفضوا على سلم بن زياد وأخرجوه من خراسان بعد أن بلغهم خبر وفاة يزيد بن معاوية ، فقصد سلم نيسابور تاركا على خراسان عبدالله بن حازم ، وعمت الاضطربات والحروب بين مؤيدي عبدالله بن الزبير وأنصار بني أمية في خراسان ، ثم تمكن عبد الله بن خازم من السيطرة على الأقليم ، وولى ولده محمد على هراة ، ولم يهنا عبد الله بالولاية طويلا إذ لم يلبث أن لقي مصرعه على يد وكيع بن وشاح عامل عبد الملك بن مروان على خراسان[١٤٦] وفي سنة ٧٨هـ أضاف عبد الملك خراسان الى الحجاج بن يوسف الثقفي بالأضافة الى العراق فأسند الأخير ولاية خراسان الى المهلب بن أبي صفرة الذي قام بسلسلة من الحملات العسكرية في اقليم ماوراء النهر ، وأفتتح خجندة كما أخضع بلاد الصغد[١٤٧].وبعد وفاة المهلب بن ن أبي صفرة تعاقب على خراسان كل من يزيد بن المهلب ثم المفضل بن المهلب ، وبولاية قتيبة بن مسلم الباهلي على خراسان سنة ٨٦ هـ تبدأ المرحلة الحاسمة في استكمال فتح ذلك الأقليم وضم مناطق بعيدة الى حوزة النفوذ العربي في المشرق ، وقد حقق قتيبة انتصارات كبيرة وأفتتح جميع مدن خراسان في الفترة مابين ٨٦ – ٩٥ هـ واستحق تقدير الخليفة الوليد بن عبد الملك[١٤٨]وبلغت فتوحات قتيبة حدود الصين الغربية وهو أقصى مكان وصل اليه العرب في المشرق ، وتعتبر فتوحاته بداية الاتصال بين العرب والاتراك ، وكان لجهود قتيبة اعظم الأثر في انشاء

١٤٥– البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٠٢ – ٤٠٣ .
١٤٦– البلاذري ، فتوح البلدان ص٤٠٤–٤٠٦.
١٤٧– ابن الاثير ، الكامل٤٥٤ .
١٤٨–الطبري ، ج٨ ص١٩٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج٤ص٥٢٤–٥٣٣.

مراكز جديدة للثقافة العربية الاسلامية في أواسط آسيا ، لعبت دورا هاما في توطيد العلاقات بين الدولة العربية وبلاد الصين في المراحل اللاحقة[١٤٩]

فتح جرجان وطبرستان :

تولى يزيد بن المهلب ولاية خراسان فى سنة ٩٧ هـ بعهد من الخليفة سليمان عبد الملك ، فتطلع يزيد الى فتح جرجان وطبرستان ، فأبتدأ بقهستان ودخلها صلحا بعد قتال شديد ، ثم واصل زحفه الى جرجان مصالحة أهلها أيضا ، ولم يبق أمام يزيد سوى التقدم نحو طبرستان الواقعة إلى الجنوب من بحر قزوين ، وأورد المؤرخ ابن الأثير أن الأصبهبذ حاكم طبرستان أرسل الى يزيد يعرض عليه الصلح على أن ينسحب المسلمون عن البلاد ، إلا أن يزيدا أصر على اقتحام طبرستان وكانت مدينة شديدة الحصانة ، وبادر الى وضع خطة للهجوم تقضي بتقسيم قواته الى ثلاثة اقسام لمهاجمتها من ثلاث نواحي ، فتحرج موقف حاكم طبرستان فارسل يستنجد بجيرانه الديلم وأهل جيلان ، فزحفوا لمساعدته بجموع كثيفة ، واشتبكوا مع قوات يزيد في معركة عنيفة انتهت بهزيمة المسلمين ، وعلى أثر هذه الهزيمة نقض أهل جرجان الصلح مع المسلمين ، فاضطر يزيد الى إبرام الصلح مع الأصبهبذ على أن يدفع هذا الأخير مبلغا من المال نظير عودة المسلمين وعدم تعرضهم لبلاده ، فتفرغ يزيد بذلك لمواجهة أهل جرجان ، واستغل خروج حاكم المدينة بالجيش الى البحيرة للقاء المسلمين هناك تنفيذا لنصيحة الأصبهبذ ، ودخل يزيد جرجان ثم ترك بها حامية صغيرة وسار لمواجهة قوات المدينة المعسكرة عند البحيرة فحاصرها ستة أشهر انتهت بتسليم البحيرة بالأضافة الى جرجان[١٥٠]غير ان اهل جرجان حسب رواية البلاذري ما لبثوا أن غدروا بالحامية الاسلامية المرابطة في المدينة فعاد يزيد لقتالهم وحاصرهم سبعة أشهر ثم أقتحم جرجان ووضع الخراج والجزية على أهلها[١٥١]

فتح اقليم السند :

يرجع اهتمام المسلمين باقليم السند الى خلافة معاوية بن ابي سفيان ، ففي سنة ٤٤ هـ قاد المهلب بن أبي صفرة عدة حملات ضد الأراضي الواقعة بين كابل والملتان ووصل الى بلدة لاهور ، ثم واصل الولاة من بعده حملاتهم في اقليم السند من ناحية سجستان ، وتم فتح مكران والقندهار ، ووصلت حملاتهم الى البوقان والقيقان[١٥٢]. على أن فتح هذا الاقليم أخذ طابع الجدية والتنظيم بعد تولى محمد بن القاسم الثقفي هذه المهمة من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي الذي سير معه ستة الآف من جند الشام

١٤٩– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٢٤ .
١٥٠– ابن الاثير ، الكامل ج٥ص٣٣.
١٥١– البلاذري ، فتوح البلدان ص٤١٥.
١٥٢– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٣٧

بالاضافة الى الاعداد الكبيرة من المتطوعين الذين انضموا الى هذا الجيش ، فزحف محمد بن القاسم نحو مكران سنة ٨٩ هـــ ومنها انطلق الى الديبل اهم مرافيء السند وافتتح في طريقه كل من : فنزبور وأرمائيل ، ثم قطع بلوخســتان ونزل على الديبل ، وتمكن من اقتحامها عنوة وانزل بها أربعة الآف من المســلمين وبني لهم فيها مسجداً جامعاً ، ثم واصل فتوحاته في ذلك الاقليم فدخل مدينة راور عاصمة السند ، بعد أن هزم الملك داهر الذي لقي مصرعه في هذه المعركة[١٥٣]

ولم تتوقف فتوحات محمد بن القاســم عند هذا الحد بل واصــل تقدمه نحو الشــمال الشــرقي ففتح العديد من المدن والقلاع ، ثم قطع نهر بياس - أحد روافد الســند - ونجح في الاستيلاء على مدينة الملتان المعروفة بحصانتها بعد أن حاصرها حصاراً شديداً ، وقد حاز محمد بن القاسم على رضى اهالي البلاد المفتوحة نتيجة للسياسة التي يتبعها نحوهم والتي تميزت بالتسامح والعدل وضمان الحرية للجميع .

تطور الاحداث في المشرق بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي :

كانت وفاة الحجاج بن يوسف في سنة ٩٥ هـــ تعتبر خاتمة عصر الفتوح العظيمة التي شهدها المشرق الاسلامي في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وقد سبق أن عرضنا الى الإجراءات التي تخذها ســليمان بن عبد الملك ضــد عدد من القادة الذين أزروا الوليد عندما أراد تحويل ولاية العهد من ســليمان إلى ولده يزيد وكان الحجاج على رأس أولئك الذين حقد ســليمان عليهم غير ان الحجاج توفي قبل ان يلي ســليمان الخلافة بتسعة أشهر ، فصب الأخير غضبه على أل الحجاج وأنصاره وولائه ، ولما كان محمد بن القاسم يمت بصلة القرابة الى الحجاج فقد امر سليمان بعزله عن ولاية الســند ، وولى مكانه يزيد بن ابي كبشــة الذي قبض على محمد بن القاســم وأرســله مقيدا الى الشام ، فلما وصل العراق قام صالح بن عبد الرحمن بسجنه بواسط ، ثم لم يلبث أن توفي بعد تعرضــه للتعذيب ولم تطل أيام الوالي الجديد فقد ادركته الوفاة بعد ثمانية عشــر يوما من ولايته على السند ، فخلفه حبيب بن المهلب ، فقام بحملة ضــد أهل الرور وتمكن من اخضاعهم[١٥٤]

ثم تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد ســليمان بن عبد الملك ، فقام بجملة من الاصــلاحات تناولت مســألة الخراج والجزية والزكاة ،وألزم عماله بمراعاة العدل والمســاواة نحو شــعوب البلاد المحررة، وعدم ارهاقهم بالضــرائب ، والعمل على تشجيع الدخول في الدين العنيف وقد اتت هذه السياسة ثمارها فاقبلت تلك الشعوب على اعتناق الاســلام، وكتب الخليفة الى ملوك بلاد ماوراء النهر يدعوهم إلى الاسلام فاستجاب بعضهم لهذه الدعوة كما أرسل الى ملوك السند أيضا بهذا المعنى

١٥٣– البلاذري ، فتوح البدان ص ٤٣٤ – ٤٣٧، اليعقوبي ، ج٣ ص ٣٨٩ ، ابن الأثير ،

١٥٤– البلاذري ، فتوح البلدان ص٤٣٧–٤٣٨.

على أن يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، فأسلم حبيشة بن داهر المعروف بـــ جاي سنك ، وبقية الملوك وتسموا بأسماء عربية ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد عين على بلاد السند عمروبن مسلم الباهلي[١٥٥]

ثم تعاقب على ولاية الســـند بعد وفاة عمر بن عبد العزيز عدد من الولاة منهم جنيد بن عبد الرحمن المري في خلافة هشــام بن عبد الملك ، وقد قام الجنيد بعدة غزوات في المناطق الشــرقية والجنوبية الشــرقية لأقليم الســند ثم خلفه نمير ابن زيد العتبي الذي تقلص نفوذ اقليم الســند خلال ولايتة وتلاه الحكم بن عوانة الكلبي ثم عمرو بن محمد بن القاســم فأســس مدينة اســلامية بالقرب من شــاطىء نهر الســند ســماها (المحفوظة) ، كما بني مدينة أخرى بالقرب منها عرفت(بالمنصـــورة) ، ويبدو أن عمرا استأثر بالحكم وتمكن من استرداد عدد من المدن التي خرجت على المسلمين ، وسلك سياسة حسنه نحو أهالي البلاد فحاز على تأييدهم[١٥٦]

ثانيا – تحرير المغرب:

استكمل العرب المسلمون عملية تحرير المغرب في العصر الأموي وقد افتتح معاوية ابن حديج المرحلة الأولى من مراحل التحرير حين قاد في سنة ٤٥ هـ جيشاً كبيراً ضم عدداً من قادة المسلمين وابناء الصحابة، وحدث أول اشتباك مع البيزنطيين في قمونية[١٥٧] واجبرهم على التراجع داخل اسوار سوسة فعمد ابن حديح الى توجية فرقة من الجيش بقيادة عبدالله بن الزبير الى سوسة فتمكن الأخير من دخولها ، كما ارسل قوة من ألف رجل بقيادة عبد الملك بن مروان الى جلولاء وكانت من أهم الحصون البيزنطية ، فتمكن عبد الملك من تحرير هذا الموقع بعد حصار شديد ، إما معاوية بن حديح فقد سار شمالاً فحرر بنزرت كما أرسل جيشاً اخراً الى جزيرة جربة فتمكن من دخولها في سنة ٤٧ هـ[١٥٨]وبولاية عقة بن نافع الفهري تبدأ مرحلة جديدة من مراحل تحرير المغرب وترجع صلة الوالي الجديد بأفريقيا الى عهد عثمان بن عفان ، فقد سبق أن شارك في الحملات التي قادها عمرو بن العاص على برقة وافريقية سنة ٢٣ هـ ، وعبد الله بن سعد سنة ٢٧ هـ ، فاكتسب بذلك . خبرة بشؤون افريقية وطبيعة البلاد واحوال السكان ، وقد قـــاد عقبه بنفسه عدد من الحملات داخل افريقية حرر خلالها غدامس سنة ٤٢هـ واخضع قبائل لوانه و فراته ، ثم مضى نحو ودان وكانت قد نقضت الصلح الذي كان بينها وبين بسر بن أرطأة فأخضعها ثم فرض سيطرته على بعض فزان وحرر عدد من حصونها[١٥٩]

١٥٥– ابن الاثير ، الكامل ج٤ص١٣٤.
١٥٦– السادتي ، تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية ج١ص٦٩.
١٥٧– الموقع الذي تقوم عليه القيروان ، انظر الملكي ، رياض النفوس ج١ص١٨.
١٥٨– البكري ، المغرب في اخبار افريقية والمغرب ، ص ٣٢–٥٨.
١٥٩– ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص١٩٤–١٩٦.

وكان خروج عقبة بن نافع الى افريقية سنة ٤٩ هـ بأمر معاوية بن ابي سفيان الذي جهزه بعشرة الآف رجل فتمكن من تحرير الواحات الداخلية في اقليم برقة عاد بعدها إلى (سرت) حيث اقام بها مدة قصيرة ثم سار الى غدامس فحررها كما حرر قفصة وقصطيلية من إقليم الجريد[١٦٠]

ثم رأى عقبة ضرورة اتخاذ قاعدة حربية تكون معسكراً ثابتاً لقواته في افريقيا فاختار موقعاً ستراتيجياً بعيداً عن الساحل حتى لا يعرض المسلمون لهجمات الاساطيل البيزنطية ، فاختط القيروان سنة ٥٠ هـــ وشرع ببناء المسجد الجامع ودار الأمارة ، تم قسم الأرض بين القبائل العربية المشاركة في هذه الحملة فشيد الناس دورهم ومساجدهم بها ، ولم تلبث القيروان أن اصبحت عامرة في المباني والمنشأت والاسواق في سنة ٥٥ هـ ، وقد أقيم حول المدينة سور بني من اللبن والطين استمر قائماً حتى أمر بتخريبه الأمير زيادة الله بن الاغلب في شهرجمادي الأول من سنة ٢٠٩ هـ[١٦١]على أن ولاية عقبة على افريقية لم تستمر طويلا ، فقد عزل بار معاوية بن ابي سفيان سنة ٥٥هـ ، وقيل ان مسلم بن مخلد الانصاري والي مصر آنذاك كان قد سعى لدى الخليفة وحمل على عزله وتولية أبي المهاجر دينار[١٦٢]، ويبدو أن الانتصارات التي حققها عقبة في افريقية والمكانة التي احرزها كانت من اسباب أقدام ملسم على السعي ضده ، وقد نجح أبو المهاجر في كسب ثقة البربر وتأييدهم بفضل السياسة التي اتبعها نحوهم فضمن بذالك قطع صلاتهم بالبيزنطيين الى حد ما ، ثم قاد حملة بأتجاه المغرب الأوسط ، فاصطدم بقبائل اوربه وهم من البرانس فهزمهم ، ونجح في كسب زعيمهم كسيلة بن لمزم وكان نصرانيا فأعتنق الإسلام ، وتترتب على ذك انحياز قبائل البربر البرانس الى العرب وتحالفوا معهم ، وبفضل هذا التحالف تمكن أبو المهاجر من تحرير تلمسان ثم هاجم قرطاجنة سنة ٥٩ هـ وأرغم البيزنطيين على اخلاء المنطقة الواقعة جنوبي اقليم قرطاجة[١٦٣]. على أن دور أبي المهاجر انتهى بوفاة معاوية بن أبي سفيان ، فقد أعاد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع الى افريقية ، وقد تميزت هذه المرحلة بالتعاون بين عقبة والبربر ، فتهيأ للمسلمين تحرير عدد من المدن والقلاع من البيزنطيين مثل اغاية وقرطاجنة والمنستير وتوغلوا في منطقة الزاب ، والحقوا بالبيزنطيين هزيمة كبيرة في وادي المسيلة[١٦٤]

غير أن البيزنطين ما لبثوا أن حصلوا على تأييد عدد من قبائل البربر الذين وقفوا الى جانبهم في حرب العرب المسلمين فقد انضمت إليهم لواتة وهورة ، وكان النصر حليف عقبة في هذه المعركة التي أنهزم فيها البيزنطيون وحلفائهم من البربر ، ومضى بعدها موغلا فـــي المغرب الاقصى ، ففارقه كسيلة واصحابه وقيل أن عقبة أساء

١٦٠– نفس المصدر ، – – – ، ص٢٦٤

١٦١– اليعقوبي ، البلدان ص٢٤٧، ابن عذاري ، ج١ص١٢٩، ابن خلدون ، ج٤ص٤٢٣.

١٦٢– كان ابومهاجر دينار من موالي سلمة بن مخلد الانصاري.

١٦٣– حسين مؤنس ، فتح المغرب ،ص١٧٢–١٧٦(ان البيزنطينيون قد استعادوا قرطاجنة).

١٦٤– ابن عذاري ، البيان المغرب ج١ص٢٤.

معاملته فانفصل عنه مغاضباً وأضمر له الشر ، وبلغت جيوش المسلمين طنجة ثم قرر عقبة العودة الى قاعدته في القيروان وقبل أن يصل الى هذه المدينة سمح لمعظم قواته في التفرق ، وقد أثيرت حول هذا الموضوع عدة تساؤلات ، فقد قيل أن سماح عقبه لاصحابه في التفرق والعودة إلى منازلهم وأهليهم لم يكن غريباً في مثل هذه الظروف حيث استغرقت الحملة أكثر من سنة فكان لابد أن يسمح القائد لجنده في العودة[١٦٥]، وتذهب بعض الروايات في القول بان خطورة الوضع في افريقية كان وراء التعجل في ارسال العساكر الى القيروان لمواجهة البيزنطيين الذين كانوا يعدون العدة لمهاجمة المدينة[١٦٦] ولم يبقى مع ابن نافع حسب الرواية ابن عذاري سوى خمسة الأف بعد أن انصرفت عنه العساكر في طبنة من اقليم الزاب ، فتوجه الى مدينيي تهودة وباديس مستهدفا اتخاذ قواعد لقواته هناك ، وقد علم البيزنطينيون بوجود عقبة في المنطقة فسارعوا بأخبار كسيلة زعيم بربر أوربه وحرضوه على مهاجمته ، لم يتردد كسيلة باغتنام هذه الفرصة وانضم اليه عدد كبير من البيزنطيين فاشتبك مع المسلمين في معركة عنيفة عند مدينة تهودة سنة ٦٣هـ فانهزم المسلمون ولقي عقبة بن نافع مصرعه ، وواصل كسيلة زحفه نحو القيروان فتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن انسحب زهير بن قيس البلوي نائب عقبة الى برقة[١٦٧]

غير أن المسلمين ما لبثوا أن عادو الى افريقية في عهد عبد الملك بن مروان ، فخرج زهير بن قيس على رأس حملة كبيرة في سنة ٦٩ هـ مستهدفا استعادة القيروان ، فلما علم كسيلة بذلك أثر الانسحاب عن المدينة ومواجهة المسلمين خارجا ، فدارت بينهما معركة كبيرة اسفرت عن انتصار المسلمين ومصرع كسيلة ، فدخل زهير القيروان وأقام بها مدة أنصرف خلالها بتنظيم شؤونها الأدارية ، ثم قرر العودة الى مصر، وقام البيزنطيون في هذه الأثناء بمهاجمة برقة عن طريق البحر فأجتاحوا المدينة وقتلوا عددا من أهلها كما أخذوا عددا كبيرا من النساء سبايا ، فأتجه زهير نحو الساحل لأنقاذ سبي المسلمين ويبدو أن زهيرا قد ادرك صعوبة التغلب على العدو بسبب كثافتهم بالنسبة الى قواته القليلة ففضل أن ينتظر وصول الامدادات من القيروان ، إلا أن استغاثة النساء آلهب شعور اصحابه فلم يجد بدا من الالتحام مع العدو فاستشهد مع عدد كبير من اصحابه[١٦٨] وهكذا عاد البيزنطيون ليفرضوا هيمنتهم على افريقية ، ولم يبادر العرب بالقيام بحملة جديدة إلا بعد عدة سنوات بسبب الظروف التي كانت تمر بها الخلافة الأموية ، حيث أنصرف عبد الملك الى معالجة الأوضاع الداخلية والثورات التي اندلعت في العراق والحجاز ،

١٦٥– سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي ج١ص٢٠٤.
١٦٦– ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والمغرب ،ص٥٩،ابن عذاري ،ج١ص٢٨.
١٦٧– ابن عذاري ، البيان المغرب ج١ص٢٩–٣١.
١٦٨– سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٤١ ، المغرب الكبير ج . ص ٢٣٩

واستمر هذا الحال حتى سنة ٧٤ هـ حيث قرر الخليفة انقاذ حملة كبيرة بقيادة حسان بن نعمان الغساني ، فتمكن المسلمون بهذه الحملة من تحطيم المقاومة البيزنطية في قرطاجنة ، ثم أستعدوا بعدها لمواجهة البربر الذين رفعوا لواء المقاومة في وجه زحف العرب المسلمين وكانت تتزعمهم : الكاهنة الزناتية وقد تمكن البربر من الانتصار على المسلمين في المعركة التي دارت رحاها على ضفاف البلاء المعروف بوادي مسكيانة ، وتراجع حسان الى برقة[١٦٩] منتظرا وصول الامدادات من المشرق فوصلت اليه اعدادا كبيرة من أهل الشام وأصبح قادرا على استئناف القتال ضد البربر فنجح في سحق قوات الكاهنة التي لقيت مصرعها بالقرب من طبرق سنة ٨٣هـ[١٧٠]واستعد حسان بعد أن حقق انتصاره الكبير على البربر لمواجهة البيزنطين الذين كانوا قد نشروا قواتهم في قرطاجنة ، ويبدو أنهم آثروا عدم التورط في مواجهة المسلمين في هذه المرحلة بعد أن أنضمت اليهم جموع كبيرة من أهل أفريقية فقرروا الانسحاب بقواتهم عن طريق البحر . ووجد حسان أن الضرورة تقضي بأنشاء مدينة اسلامية تشرف على مدخل قرطاجنة ، فشرع ببناء تونس الى الشرق منها في موضع تنيس القديمة ، وأنشأ فيها دارا لصناعة الاسطول ، كما أسس مسجدا جامعا ودارا للامارة ومعسكرات للجند ، ومما تجدر الاشارة اليه خلال ولاية حسان بن النعمان ذلك الانتصار العظيم الذي حققه الاسلام حيث انتشر انتشارا واسعا بين البربر الذين أقبلوا على اعتناقه بحماس منقطع النظير ، مما أدى الى تقلص نفوذ الروم والفرنجة في هذه البلاد ، في نفس الوقت الذي خفت فيه مقاومة البربر للعرب المسلمين بشكل ملحوظ ولم يلبثوا أن أصبحوا عدة الجيش الاسلامي الذي حمل لواء الدعوة الى باقي مدن المغرب االكبير[١٧١]

ثم تولى ولاية افريقية بعد حسان بن نعمان موسى بن نصير في سنة ٨٦هـ فواصل عملية حرير بلاد المغرب من النفوذ البيزنطي ، وحقق انتصارات كبيرة في هذا الميدان وقام بعدة حملات عبر السوس الأدنى حتى بلاد سجلماسة ووادي درعة كما عهد الى ولده مروان بقيادة الجيش الى منطقة السوس الأقصى ، ونجح موسى بن نصير باخضاع قبائل بربر مصمودة ، وتوج انتصاراته بتحرير طنجة سنة ٨٩ هـ ، وكان يتولى حكمها حاكم رومي يدعى يوليان أو جوليان ، وعاد موسى بن نصير الى القيروان بعد أن عهد الى طارق بن زياد بولاية طنجة[١٧٢]

١٦٩– البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٣١ ، ابر، عذاري ، ج١ من ٣٣ – ٢٤ .

١٧٠– عبيد الله بن صالح ، ٢٢٣.

١٧١– سالم ، تاريخ الدولة العربية ص ٦٤٠ – ٦٤١ ، عمر فروخ ، تاريخ صدر الاسلام ١٤٨

١٧٢– ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والأندلس ص ٦٩ – ٧٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٣٢ .

فتح الاندلس :

استكمل العرب المسلمون تحرير المغرب من النفوذ البيزنطي ولم يبق خارجا عن نفوذهم سوى مدينة سبتة ذات القلاع الحصينة ، وكان جوليان يتولى حكمها من قبل القوط الغربيين ، وقد ذكر المؤرخون أن جوليان هذا لعب دورا في حث العرب ومساعدتهم على دخول الاندلس انتقاما من لوذريق ملك القوط لاسباب شخصية[١٧٣].

ويعود سبب الخلاف بين لوليان (جوليان) كما تذكر ذلك المصادر الاسبانية الى أن لوذريق كان قد اغتصب العرش من الملك الشرعي وقلة بن غيطشة فلجأ الأخير الى يوليان حاكم سبته الذي يمت بصلة النسب والقرابة لآل غيطشة وطلب مساعدته على استعادة عرشه من لوذريق ، فبادر يوليان بالاستعانة بالعرب لانهم كانوا القوة الوحيدة التي تستطيع تحقيق أهدافه فاتصل بطارق بن زياد حاكم طنجة وعرض عليه القيام بحملة عسكرية لاعادة الملك المخلوع الى عرشه في اسبانيا مقابل جزية سنوية يلتزم الاسبان بتقديمها للعرب ، فعرض طارق هذه الفكرة على موسى بن نصير فرحب بذلك مدفوعا بحبه للجهاد وحرصه على نشر الاسلام وتوسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية ، وكان لابد لموسى من الرجوع الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فوافق على القيام بهذه الحملة غير أنه نصح موسى بضرورة التزام الحذر وعدم المغامرة بقوة كبيرة بل يأخذ الأمر بالسرايا ولا يغرر بالمسلمين ، وتنيفذا لأمر الخليفة ارسل موسى في رمضان من سنة ٩١ هـ سرية مؤلفة من مئة فارس وأربعمائة راجل بقيادة طريف بن مالك ، فأغار على المناطق المحاذية للجزيرة الخضراء ثم عاد الى المغرب وقدم الى موسى بن نصير تقريرا شاملا عن النتائج التي تمخضت عنها حملته الاستطلاعية[١٧٤]

ويعلل بعض الباحثين موقف يوليان من العرب بانه يعود الى أن يوليان قد ادرك خطورة موقفه بعد أن أنجز العرب تحرير جميع مدن المغرب من النفوذ البيزنطي فأراد ان يصرف انظارهم عن سبته ويعبر عن اخلاصه لهم واستعداده لمساعدتهم على العبور الى الاندلس ليضمن استمرار نفوذه على سبته من جهة واعادة الملك المخلوع الى عرشه من جهة أخرى[١٧٥]

على أننا نرى أن اندفاع العرب الى الاندلس لم يكن غرضه تحقيق رغبة يوليان فحسب ، إذ لا يخفى على المتتبع للفتوحات الاسلامية سواء في المشرق أو المغرب ، أن العرب كانوا يؤمنون بأنهم حملة رسالة انسانية عليهم واجب تبليغها الى شعوب العالم كافة ، ولم تقف في وجههم حدود أو قيود فبلغت فتوحاتهم الصين شرقا ، وحين وصلوا الى شواطيء المحيط الاطلسي وجدنا عقبة بن نافع يدفع بفرسه الى

١٧٣– البكري ، كتاب المغرب في ذكر الفريقية والمغرب ، ص ١٤ ، المقري ، نفح الطيب ج١ص٢٣٦.
١٧٤– ابن عذاري ، البيان المغرب ج ص ، المقري ، نفح الطيب ج١ص ٢١٤ .

١٧٥– عبدالحميد العبادي ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص٣٦.

مياه المحيط قائلا " اللهم إشهد أني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد سواك[١٧٦] ولا نستبعد أن يكون العرب قد فكروا بعبور الاندلس بعد أن دان لهم المغرب كله ورحل الروم عن البلاد ، فلم تكن اسبانيا ببعيدة عن متناولهم إذ لا يفصلها عن المغرب سوى بوغاز لا يشكل عائقا كبيرا في وجوههم ، وقد ساعدهم على ذلك تردي الأوضاع السياسية في اسبانيا وحالة الفوضى التي كانت تجتاح شبه الجزيرة أنذاك ، بالأضافة الى الدور الذي قام به يوليان الذي استهدف حث العرب على سرعة العبور الى الاندلس واسقاط النظام القائم في اسبانيا آنذاك .

عكف موسى بن نصير الى اعداد الخطط العسكرية التي تكفل نجاح الحملة المقبلة ، بعد أن وقف على أحوال القوط ، وقدرتهم على المواجهة من خلال التقرير الذي قدمه طريف بن مالك ، وأعد جيشا قوامه سبعة الآف مقاتل بقيادة طارق بن زياد ، ويؤكد بعض الباحثين على أن نقل هذا الجش تم باساطيل عربية كانت ترابط على الساحل المغربي ، ويستبعد أن يكون العرب قد اعتمدوا على سفن الكونت يوليان أو على مراكب التجار الروم ، إذ أن هذا لا يتفق وسياسة الأمويين التي تحرص على اتخاذ الاحتياطات الحربية التي تكفل سلامة المسلمين كنشاء القواعد وبناء الاساطيل وارسال البعوث والسرايا قبل القيام بهجوم كبير[١٧٧]وقدانجز طارق بن زياد عملية العبور بنجاح ونزل في الموضع الذي عرف فيما بعد بجبل طارق فأقام هناك مدة قام خلالها ببناء سور أحاط به قواته سماه (سور العرب)[١٧٨] كما أقام قاعدة عسكرية بجوار الجبل على الساحل مستهدفا توفير الحماية لقواته في حالة الانسحاب، وقد عرفت تلك القاعدة بالجزيرة الخضراء ، وأمر كذلك بأنشاء قاعدة امامية تولى حمايتها طريف بن مالك. وكان لوذريق آنذاك منشغلا باخماد ثورة سكان نافارا في اقصى الشمال الاسباني ، فلما علم بعبور المسلمين اسرع بالعودة الى الجنوب في حشود كبيرة لمواجهة الموقف ، فكتب طارق الى موسى بن نصير ، فأمده بخمسة الآف رجل وأصبح جيش طارق يضم أثني عشر الفا، فنشب القتال بين الطرفين في رمضان من سنة ٩٣ هـ عند وادي لكة فانتصر المسلمون انتصارا حاسما على الرغم من تفوق عدوهم في العدة والعدد[١٧٩] ، وقد فتح هذا الانتصار ابواب الاندلس امام المسلمين ، فزحف طارق بالجيش الرئيسي نحو العاصمة طليطلة في نفس الوقت الذي ارسل فيه فرقا أخرى الى قرطبة والبيرة فسقطتا بيد المسلمين ،ونجح طارق من دخول طليطلة دون مقاومة تذكر[١٨٠] ويبدو أن طارقا خشي أن يقطع العدو الطريق عليه في المناطق الجبلية خصوصا بعد اقتراب فصل الشتاء ، فارسل الى

١٧٦– ابن عذاري ، البيان المغرب ج١ ص ٢٦ – ٢٧ .

١٧٧– مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس، ص٥٨–٥٩.
١٧٨– رحلة ابن بطوطة ، ٢٥٦.
١٧٩– ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والاندلس ص ٩٦
١٨٠– بن عذاري ، البيان المغرب ص ١٧ .

موسى بن نصير يطلب مساعدته ، فبادر الأخير الى عبور المضيق في ثمانية عشر ألفـــــا معظمهم من العرب في رمضان من سنة ٩٣ هـــ ، وسلك طريقا أخر غير الطريق الذي سـلكه طارق ، فاسـتولى على عدد من المدن مثل : قرمونة وأشـبيلية وماردة ، ثم التقى بطارق عند نهر التاجو بالقرب من طليطلة ، حيث واصـــلا بعد ذلك الزحف نحو جبال البرت في أقصـــى الشـمال ، وتوالى سـقوط المدن في أيدي المسلمين مثل : سرقسطةووشفة ولأرده حتى بلغا شاطئ البحر الشمالي عند حدود فرنســا الجنوبية ، وفي هذه الاثناء وصـــلت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك التي تقضـــي بعودة موســى وطارق إلى دمشـق ، فتولى شـؤون الاندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي نزل قرطبة واتخذها دار أمارة له في أواخر سنة ٩٥ هـ[١٨١]

وقد أتم عبد العزيز بن موسى فتح شرق الاندلس وكانت المقاومة الاسبانية قد تمركزت في تدمير التي عرفت فيما بعد باسم مرسية فتمكن المسلمون من دخولها صلحا ، فاستكملوا بذلك فتح شبه الجزيرة كلها عدا القسم الشمالي الغربي الذي يسمى جيلقية ، فقد تركه المسلمون لوعورته وشدة برودته بالأضافة الى خلوه من السكان ، وقد أصبحت هذه المنطقة مركزا لتجمع فلول القوط المنهزمين الذين اتخذوا منها نواة دولة اسبانيا النصرانية التي عملت على اسقاط الدولة العربية في الاندلس بعد ثمانية قرون من قيامها[١٨٢]

ثالثا – الحرب مع الروم البيزنطيين :

شرع العرب بتحصين الثغور وتأمين السواحل الشامية مـن خطـــر الغارات البحرية التي يشنها الاسطول البيزنطي الذي كانت له السيطرة على البحر المتوسط آنذاك ، وقد أولى معاوية بن أبي سفيان موضوع الدفاع عن الثغور الاسلامية اهتماما خاصا منذ كان واليا على بلاد الشام فقام بتحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة ، واقطع من ينزل بها من المسلمين القطائع والأخائذ ، وأقام دارا لصناعة السفن في مصر ليتمكن العرب من فرض سيطرتهم على جزر البحر المواجهة لسواحل مصر وبلاد الشام ، واتخاذها قواعد لمهاجمة السواحل البيزنطينية نفسها[١٨٣] وقد استهل معاوية نشاطه البحري بغزو قبرص في سنة ٢٨هـ وكان للاسطول المصري دور في هذه العملية ، إلا أن المواجهة الحاسمة بين الاسطول العربي والبيزنطي حدثت في سن ٣٤هـ، وقد تمخضت عن انتصار العرب في هذه العركة التي عرفت بذات الصواري وترتب عليها تقلص النفوذ البيزنطي على البحرالمتوسط[١٨٤]

١٨١– ابن عذارى ، البيان المغرب ج٢ ص ٣٠ ، ابن خلدون ج٤ص ١١٨ .

١٨٢– عبد الحميد العبادي ، المجمل في تاريخ الاندلس ص ٣٩ .

١٨٣– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٥٣٧.

١٨٤– البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٥٧ ، ابين الأثير ، الكامل ج٣ص ٢٩٦ ، فتحي عثمان :الحدود الإسلامية البيزنطية ج٢ ص ٣٣٨ .

على أن معاوية لم يستثمر انتصاره على البيزنطيين بمهاجمة القسطنطينيه كما كان يتوقع ويبدو أن الظروف التي استجدت علـــى الساحة العربية بعد استشهاد عثمان بن عفان (رض) كانت في مقدمة الاسباب التي حالت دون مواصلة معاوية القتال ضد الروم البيزنطيين ، بالأضافة الى تأخر وصول القوات البرية من الشام والتي كانت تشق طريقها عبر آسيا الصغرى ، ولم يلبث معاوية أن عقد الصلح مع الامبراطور البيزنطي سنة ٣٦هـ ليتفرغ للصراع حول الخلافة[١٨٥]

وما أن استتب الأمر لمعاوية حتى أستأنف العرب حملاتهم ضد البيزنطين في البر والبحر ، وجرت العادة على القيام بحملتين في كل عام ، احدهما في فصل الصيف وتسمى : الصائفة أو الصوافي ، والأخرى في فصل الشتاء وتعرف الشاتيه أو الشواتي[١٨٦] وأصبحت الحرب ضد الروم موزعة على جبهتين : الأولى تشمل منطقة الثغور الجزرية ، وكان من حصونها : ملطية والمصيصة ومرعش ، أما الجبهة الثانية فتتعلق بالدفاع عن شمالي الشام عند طرسوس وأطنة[١٨٧].

وفي سنة ٤٨ هـ قاد فضالة بن عبيد الانصاري جيشا كبيرا مخترقا به أسيا الصغرى حتى بلغ القسطنطينية ، فتعذر على المسلمين اقتحامها بسبب حصانتها ، وقيل أن المرض تفشى بين الجند ، مما دفع معاوية الى ارسال حملة جديدة بقيادة ولده يزيد وضم إليه عددا من أبناء الصحابة ووجوه المسلمين منهم : عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير ، وابو أيوب الانصاري ، وقد تمكن هذا الجيش من اختراق المناطق الجبلية والوصول الى العاصمة البيزنطية ، وشرع المسلمون في حصار المدينة . وحدثت سلسلة من المعارك بينهم وبين البيزطين ، ثم اضطر المسلمون الى رفع الحصار والعودة الى الشام[١٨٨]. ثم حدثت المحاولة الثانية لاقتحام القسطنطينية في سنة ٥٤ هـــــ مــن خلال الحملة البحرية التي أعدها معاوية بن أبي سفيان ، وقد اشتبك المسلمون مع الروم في معارك بحرية ضارية جرت في مضيق البسفور وبحر مرمرة ، واستغرقت المناوشات مدة سبع سنوات ، وكان المسلمون قد أتخذوا من جزيرة أرواد - في بحر مرمرة - قاعدة لسفنهم ومركزا لانطلاقهم ، وتذكر المصادر المسيحية أن الروم لجأوا إلى اختراع جديد اطلق عليه العرب أسم ـ النار الأغريقية ــ ففتـــت بسفن المسلمين واضطروا للانسحاب بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة[١٨٩]. وأعقب هذه المعركة انسحاب المسلمين من جزيرتي رودس وأرواد ، كما أخلوا جزيرة قبرص أيضـــا بأمر من يزيد بن معاوية الذي

١٨٥– حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٢ص٢٦.
١٨٦– البلاذزي ، فتوح البلدان ص١٦٨.
١٨٧– سالم ، طرابلس الشام في العصر الاسلامي ص١٣٧، الجميلي ، محاضرات في التاريخ الاسلامي ، ص٦٩ ، بغداد ١٦٩.
١٨٨– ابن الاثير الكامل ج٣ص٤٥٨(استشهاد ابا ايوب الانصاري خلال الحصار ودفن خارج اسوار القسطنطينية)،حتي :تاريخ سورية ج٢ص٤٥–٤٦.
١٨٩– حتي ، تاريخ سورية ج٢ص٤٨

تولـــــي الخلافة بعد أبيه[١٩٠]، وتبعا لذلك فقد توقفت الحملات الحربية ضد بيزنطة بسبب الأوضـاع التي كانت تمر بها الدولة العربية في اعقاب وفاة يزيد بن معاوية ، فأستغل الروم هذه الظـــروف وبادروا بشـــــن غارات على السواحل والثغور الأسلامية ، خلال خلافة بعد الملك بن مروان مما اضطر الأخير الى مهادنتهم ريثما تستتب له الأمور ، وما أن حلت سنة ٧٣ هـــ حتى أعد عبد الملك حملة جديدة بقيادة أخيه محمد بن مروان ، فتمكن من هزيمة البيزنطيين ودخول أرمينية ، وفي نفس الوقت اسـتؤنفت حملات الصـوائف والشـواتي ، وخاض المسـلمون عدة معارك ، تمكنوا خلالها من السيطرة على حصن المصيصة ، وتصاعدت حدة المعارك خلال عهد الوليد بن عبد الملك ، وقد برز أسم مسلمة بن عبد الملك كقائد لعب دورا كبيرا في قيادة الحملات ضـد بيزنطة وحقق سـلسـلة من الانتصـارات ضـد البيزنطين في أرمينية وآسـيا الصـغرى فتمكن من طردهم عن حصـن الطوانة وسـلوقية ومرعش وعمورية ، وأصـــبحت هذه المراكز قواعد للانطلاق نحو الحاميات البيزنطية في المنطقة[١٩١]

وكانت أخر محاولات المسـلمين للاسـتيلاء على العاصـمة البيزنطية في العصـر الأموي قد جرت في خلافة سـليمان بن عبد الملك ، وقيل أن الوليد كان قد وضـع الترتيبات لارسـال جيش كبير الى القسـطنطينية ورحل الى شـمال الشـام للاشـراف بنفسه على اعداد ذلك الجيش غير أنه توفي قبل أن يتحقق هدفه . ولما تولى سليمان الخلافة أبدى اهتماما كبيرا بمواصـــلة الجهود التي بدأها خلفاء بني أمية من قبله ، ويبدو أن سـليمان كان يأمل ان يكون فتح القسـطنطينية على يديه فبادر الى حشـد جيش كبير وفر له كافة مستلزمات الحصار والنفط وتولى مسلمة بن عبد الملك قيادة هذا الجيش الذي شق طريقه نحو القسطنطينية سنة ٩٨ هـــ وقد أتفقت المصـادر التـاريخيـة على القول أن هـذا الهجوم أعنف الهجمـات التي واجهتهـا العـاصـــمـة البيزنطية ، وكان للاسـطوال المصـري دور بارز في الحصـار الذي ضـرب حول القسطنطينية ، فقد رسا الاسطول العربي بمحاذة أسوار المدينة على طول شواطيء مرمرة والبسـفور ، وأقفل المدخل المؤدي الى القرن الذهبي بسـلسـلة كانت الحاجز الأول من نوعه في التاريخ[١٩٢]

على أن جيش مسـلمة عانى كثيرا من قلة المؤن بسـبب ضـخامته ، بالأضـافة الى انتشـار الوباء بين الجند وتفاقم قساوة الشتاء ، وتصـاعد غارات البلغار التي تسببت في قطع طرق الامدادات الى المسلمين ، وكانت أخر محاولات المسلمين للاستيلاء على العاصـــمة البيزنطية في العصـــر الاموي قد جرت في خلافة سـليمان بن عبد

١٩٠– البلاذري ، فتوح البلدان ص٢٣٧.
١٩١– ابن الأثير ، الكامل ج٤ ص ٥٥٦ ، ٥٧٨ .

١٩٢– حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٢ص٥٠.

الملك ، وقيل إن مسلمة أظهر شجاعة وعزما فائقين ، ولم يرفع الحصار على الرغم من وفاة أخيه سليمان بن عبد الملك ، وما أن استقر عمـــــــــر بـــن عبد العزيز بالخلافة حتى سـارع الى ارسـال المؤن والدواب الى جيش مسـلمة ، وأمره بالعودة الى بلاد الشـام[١٩٣]، ، وتذهب المصـادر المسـيحية الى القول بأن الاسـطول العربي واجه في طريق عودته عاصـفة شـديدة مرت معظم قطع الاسـطول ولم ينج سـوى خمسـة سفن من أصل ألف وثمنمائة" ولاشك بأن هذا القول مبالغ فيه وهو يستهدف تضخيم حجم خسائر المسلمين في هذه الحملة[١٩٤] .

ولم تشـهد الجبهة البيزنطية بعد هذه الحملة نشـاطا ملحوظا إلا في خلافة هشـام بن عبد الملك الذي اسـتؤنفت في عهده غزوات المسـلمين ضـد الروم فتوغلوا في آسـيا الصـغرى وكان اضـطراب الاحوال داخل بيزنطة قد شـجع المسـلمين على مهاجمة القسـطنطينية ، إلا أن نجاح الامبراطور ليون الثالث في القضـاء على اعدائه حال دون مواصلة زحف المسلمين نحو القسطنطينية[١٩٥] .

١٩٣– ابن الأثير ، الكامل ج٥ ص٤٣.
١٩٤– حتي : تاريخ سورية ج٣ص٥١.
١٩٥– نفس المصدر ، – ج٣ ص٥١ – ٥٣ .

الفصل الخامس

الحضارة العربية الاسلامية
في
العصر الاموي

الحضارة العربية الإسلامية في العصر الأموي

أولا : النظم الأدارية : { الدواوين }

يعد الخليفة الراشـــدي عمر بن الخطاب (رض) أول من أدخل نظام الديوان إلى الدولة العربية الاسـلامية بعد أن اصـبحت المدينة عاصـمة لدولة مترامية الاطراف عظيمة الموارد ، مما حتم ظهور انظمة ومؤســســـات تتناول تنظيم موارد الدولة ووجوه الانفاق فيها ، ولم تلبث تلك النظم أن تطورت تبعا لحاجة الدولة واســتجابة للظروف التي طرأت على حياة المجتمع خلال العصـــر الأموي فظهر عدد من الدواوين اختص كل منها النظر في شأن من شؤون الدولة .

أ – ديوان الجند :

كان ديوان الجند او ديوان العطاء قد وجد منذ خلافة عمر بن الخطاب (رض) ، فقد أكد المؤرخ الطبري ذلك وقال انه فرض الفرض للمسلمين ودون الدواوين في العام الخامس عشـــر للهجرة[١٩٦]ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وأمرهم بكتابة الناس على منازلهم ، فتم وضع ديوان الجند أو ديوان العطاء على ثلاثة أسس في مقدمتها اساس النسب والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اساس السبق في الاسلام ثم التفضيل في الشجاعة والبلاء في الجهاد ، وقد ظلت هذه الأسس معتمدة خلال العصر الأموي مع بعض التطورات البسيطة التي أدخلها بعض خلفاء الأمويين وولاتهم من حيث زيادة عطاء بعض الفئات من الموالي كما حاولوا تغيير التنظيم العســكري واصـــلاحه عن طريق مزج القبائل وربطها برابطة جديدة اكثر قوة من رابطة القبيلة[١٩٧] ، كما وضـــح ذلك من محاولة أســـد القسري سنة ١٠٧ هـــ بنقل الجند من البروقان الى بلخ ، فقد كان الجند في الأولى منقسمين الى أخماس أما في بلخ فقد خلطهم واسكنهم دون اخذ التقسيم القبلي بنظر الاعتبار[١٩٨] كما اتخذ الخليفة هشـــام بن عبد الملك موقفا عمليا حين أمر واليه الجنيد بن عبد الرحمن بأن يسقط من الديوان (العطاء) اسماء المقاتلة الذين يرفضون القتال ، وامره بان لا يضغط عليهم لانه سيرسل اليه مقاتلة غيرهم يرغبون في القتال[١٩٩] .

١٩٦– الطبري ، ج ص ١٦٣ .
١٩٧– فاروق عمر واخرون ، النظم الاسلامية ، بغداد ١٩٨٧ص١٥٠.
١٩٨– الطبري ، ج٧(الطبعة الحسينية) ص٧٩
١٩٩– فاروق عمر ، ص١٥٠–١٥١.

ب – ديوان الخراج والجبايات :

استمر ديوان الخراج على ما كان عليه خلال العصر الراشدي حتى خلافة عبد الملك بن مروان حيث استقرت دعائم الدولة العربية الإسلامية ورسخت قواعدها .

وقد اشار ابن خلدون الى ذلك وقال أن العرب انتقلوا من (غضاضة البداوة الى رونق الحضارة ، ومن سذاجة الأمية الى حذق الكتابة ، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان)[٢٠٠]. فأمر عبد الملك سنة ٧٨ هـ سليمان بن سعد واليه على الأردن أن ينقل ديوان الشام الى العربية ، فأتمه سليمان خلال سنة واحدة[٢٠١] أما ديوان العراق فقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفي كاتبه صالح بن عبد الرحمن البصري وكان يكتب بالعربية والفارسية أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية فتم له ذلك[٢٠٢].

أما ديوان مصر فقد أمر عبد الله بن عبد الملك والي مصر من قبل أبيه عبد الملك بن مروان بنسخه بالعربية ، وصرف عبدالله (أثيناس) عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص[٢٠٣] وذكر الجهشياري أن أول من نقل الكتابة من الفارسية الى العربية بخراسان اسحق بن طليق الكاتب من بني نهشل سنة ١٢٤ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥)[٢٠٤].

وقد ترتب على حركة التعريب التي شهدها عصر عبد الملك بن مروان انتشار اللغة العربية والخط العربي وازدهار حركة الترجمة من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية واصبحت اللغة العربية على حد قول ابن خلدون : لسانا حضريا في جميع امصار الإسلام وقال أن مما ساعد على اتخاذ خطوة التعريب هذه هو أن اللغة العربية أصبحت في متناول كثير من الكتاب في البلاد المفتوحة وخاصة الموالي الذين أسلموا فمنذ عهد الخليفة الراشدي علي بن ابي طالب (رض) ظهر بعض الموالي المهرة الذين كانوا يبحثون في قواعد اللغة العربية وتبسيطها مثل أبي الأسود الدولي المتوفي سنة ٦٧ هـ[٢٠٥] .

كما أن من الأسباب التي جعلت الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كما يولي موضوع تعريب الدواوين اهتماما خاصا ، الاختلاف الواضح منذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) بين احكام الجزية والخراج وعشور الأرض وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في مصر وبلاد الشام ، وكان وراء هذا الاختلاف اللغات التي كانت الدواوين تكتب بها في الأراضي المفتوحة ، فعزم عبد الملك على اعتماد نظام موحد في الدولة العربية الاسلامية واعطى أوامره الى عماله في الاقاليم للقيام بمهمة تعريب الدواوين[٢٠٦]

٢٠٠– ابن خلدون ، المقدمة ، ص٤٣٢.
٢٠١– الجهشياري ، ص٤٠ ، الصولي ص١٩٢.
٢٠٢– الصولي ، ص ١٩٢ .
٢٠٣– الكندي ، ص٨٠.
٢٠٤– الجهشياري ، ص ٦٧ .
٢٠٥– ابن خلدون ، المقدمة ١٩٣ ، عبدالمنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ج٢ص١٦٤.
٢٠٦– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٧٨.

ج – ديوان الرسائل :

يختص هذا الديوان بالاشـــراف على الرســـائل الواردة من اقاليم الدولة العربية الاسلامية ، ولم يكن له وجود في عصـر الخلفاء الراشـدين وانما استحدث في عهد معاوية بن أبي ســـفيان ، كان القائم على هذا الديوان يختار من الرجال المعروفين بأمانتهم وعلو مكانتهم وخلوص أسرارهم[٢٠٧] ، كما ان هذا الديوان كان يشرف على الرســـائل الموجهة من الخليفة الى عماله وقد تعددت اختصـــاصـــاته بمرور الزمن وتزايد عـــــــــدد العاملين فيه ، فكان بعضهم يقوم بالأنشاء والبعض الآخر يساعد فـــي التلخيص والتبيض ،كما اصبح لهذا الديوان محفوظات خاصة يتولى الأشراف عليها موظف خاص يعرف بالخازن ، فكانت أصـول المراسـلات ونسـخها تنظم في ســجلات أو مغلفات خاصـــة تعرف بالاضـــابير ، توضـــع عليها بطاقات توضـــح محتوياتها ليسهل استخراجها والرجوع إليها[٢٠٨].

د – ديوان الخاتم :

يعد ديوان الخاتم من أكبر الدواوين التي عرفها العصر الأموي ويرجع انشائة ، الى معاوية بن ابي ســـفيان الذي حرص على أن لا تخرج التوقيعات بدون ختم فلا يعلم ما تحتويه من أســرار أحد ســوى الخليفة وحده ولا تتعرض هذه التوقيعات للتزوير والتعديل ، ويشير الطبري الى الاسباب التي دفعت معاوية الى ختم الكتب الصـادرة عن الخليفة ، فذكر أن معاوية كان قد أمر لعمر بن الزبير عند زياد بن أبيه بالكوفة بمئة الف درهم ، ففتح بها عمر وحبســه حتى قضــاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير ، فاتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم من ققبل[٢٠٩] واســند معاوية ديوان الخاتم الى عبد الله بن محصـن الحميري حسـب رواية الطبري[٢١٠] في حين يذهب السيوطي الى القـــول ولى عبدالله بن أوس الغساني مهمة الاشراف على ديوان الخاتم[٢١١]. بان معاوية وقد ضـــم هذا الديوان عددا من الكتاب القائمين على انفاذ كتب الخليفة والختم عليها اما بالعلامة أو بالحزم وكان الحزم يتم عـــن طريق لصـــق رأس الصـــحيفة على ما تنطوي عليه من الكتابب وقد يجعل على مكان الالصـــاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على مافيه[٢١٢] كما كان للخليفة ختم خاص قد يستعمله للأمور المهمة والخاصة من اجل الحفاظ على سريتها .

٢٠٧– ابن خلدون ، المقدمة ص٤٣٦.
٢٠٨– عبدالمنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصوز الوسطى ، القاهرة ١٩٦٣ص٣٦.
٢٠٩– الطبري ، ج٦ص ١٨٤.
٢١٠– الطبري ، ج٦ص١٨٤.
٢١١– السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص١٨٧.
٢١٢– ابن طباطبا ، ص١٠٧ سالم ، تاريخ الدولة العربية ص٦٨٠.

و – ديوان البريد :

كان الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان أول خليفة ينشئ نظام البريد وذلك عندما اتسع نطاق الدولة ، واصبح من الضروري نقل الرسائل وتسهيل الاتصال السريع بين العاصمة وأقاليم الدولة المختلفة ، أي ان البريد لم يكن يستخدم من قبل الرعية في نقل رسائلهم الا بعد حين . فمهمة ديوان البريد الأولى نقل الاخبار بين الولايات الى الخليفة بما يجري هناك تفصيلا ، كما انه كان يتولى نقل حاجيات الدولة ويشرف ٣ على المسالك والطرق ويرسم الخرائط المناسبة للأقاليم[٢١٣] .

ومن أجل تسهيل الاتصال السريع بين الخليفة وعماله في الامصار كانت توضع مضمرات الخيل في عدة أماكن، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب فرسا مستريحا ، وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يؤمن وصوله الى المكان المقصود بسرعة[٢١٤].

القضاء :

كان القضاء في العصر الاموي بسيطا كما كان الحال عليه خلال عصر الخلفاء الراشدين ذلك ان المذاهب الأربعة لم تكن قد ظهرت بعد ، فكان القاضي يعتمد على الاجتهاد في الاحكام مستعينا في ذلك بالكتاب و السنة و الاجماع والقياس ، ولم يكن القضاء يتاثر بالتيارات السياسية ولم تكن لميول الدولة أي أثر على القضاة .

وقد انقسم القضاء في العصر الأموي الى قضاء شرعي وقضاء مدني ، فكان القاضي الشرعي يستمد احكامه من مصادر الشريعة الاسلامية ، أما القضاء المدني فيتولاه المحتسب[٢١٥]، وكثيرا ما جمع القضاة الشرعيون بين السلطتين الشرعية والمدنية ، أما القضايا التي يستعصي حلها على القاضي الشرعي فكان يفصل فيها قاضي المظالم الذي تفوق سلطته القضائية سلطة القاضي والمحتسب[٢١٦]. وقد أقر خلفاء بني أمية ديوانا خاص للنظر في المظالم ، ويرجع الفضل في أنشائه الي عبدالملك بن مروان . فكان إذا وقف على مشكلة احتاج فيها إلى حكم منفذ ردها إلى قاضية أبي ادريس الأزدي فيينفذ فيها احكامه[٢١٧]. وكان معاوية بن ابي سفيان يجلس في المسجد ويقضي حوائج الناس ويرد مظالمهم كما كان يوصي عماله بحسن معاملة الناس ، ونشر العدل وحسن السيرة ، كما أهتم عمر بن عبد العزيز اهتماما كبيرا بـرد المظالم الى اصحابها فبدأ بنفسه ثم بأهله وأقاربه فقلص

٢١٣– سالم ، ص٦٨٠،٦٨١ ، فاروق عمر ، ص٨١.
٢١٤– ابن طباطبا ، الفخري ص١٦.
٢١٥– الماوردي ، الاحكام السلطانية ص٧٤.
٢١٦– ابن خلدون ، المقدمة ص٣٩٢
٢١٧– الماوردي ، ص٢٤.

مصاريف الخلافة وجلس على الحصير ، ووزع مزارعه ورد بعضها على ما كانت عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصادر أموال وحلي زوجته فاطمة بنت عبد الملك وردها الى بيت المال ، ورد مظالم بني أمية على أهلها ، ونظر بالمظالم الشخصية والمظالم العامة التي تخص أهالي بلد بأكمله كالخراج المفروض على أهل اليمن من واليها محمد بن يوسف الثقفي وقد أمر عمر بأن يأخذ عليها العشر أو نصف العشر[٢١٨].

السكة :

لم تعرف عمله عربية خالصة الا في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي قدر تمام التقدير أن العملة بالأضافة الى قيمتها الاقتصادية وسيلة للاعلان عن سيادة الدولة . فقد رأى أن ضرب العملات العربية الاسلامية ضرورة لازمة اقتضتها الظروف لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي والقومي للدولة العربية فقد شهدت خلافة عبد الملك ظاهرة جديدة هي صبغ الدولة بصبغة قومية عربية في جميع الشؤون الادارية والمالية ، فأليه يرجع الفضل في تعريب الدواوين والسكة ، وقد كان ذلك ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة الاستقرار التي اعقبت مرحلة الفتوحات[٢١٩]. لقد كان عبد الملك يحرص على توحيد النظام النقدي العربي الاسلامي في جميع أقاليم الدولة العربية الاسلامية ، بعد أن تعددت العملات الخاصة التي اصدرها عبد الله بن الزبير في الحجاز وأخوه مصعب في العراق ، وقطري بن فجاءة في البحرين .

كما أن العملات بما تحمله من نقوش تتضمن اسم الخليفة أو الأمير أو الحاكم والمركز الذي سكت فيه تعبر عن سيادة الدولة العربية وتحررها من أي نفوذ أجنبي ، فكان تداول عملات بيزنطية وفارسية في عصر بلغت فيه الدولة العربية ذروة تألقها السياسي يتعارض تماما مع تطبيق سياسة عربية في كافة وجوه الحياة الاقتصادية والسياسية [٢٢٠]ويرى بعض الباحثين أن التعريب كان خطة مرسومة للتخلص من الرسوم المفروضة من قبل جستنيان الثاني الذي رفض القبول بالنقود ذات الطابع الإسلامي ، وقد أقدم عليها عبد الملك بعد أن أصبح في وضع يستطيع فيه مواجهة البيزنطيين[٢٢١] ، على ان معظم المصادر العربية الإسلامية تتفق على القول أن عملية تعريب السكة التي أقدم على تنفيذها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كان ردا على ما كانت تحمله نقود بيزنطة (الدنانير البيزنطية) من شعارات تتصل بالعقيدة النصرانية أضافة الى ماكانت تحمله

٢١٨– عطا سلمان جاسم : النظر في المظالم في الخلافة العربية الاسلامية ، رسالة ماجستير كليث الاداب جامعة بغداد ١٩٨٥–١٧٢–١٧٨.

٢١٩– عبدالرحمن فهمي ، فجر السكة العربية ص٣٨.

٢٢٠– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٨٤

٢٢١– فلهوزين ، الدولة الغربية وسقوطها ، ص، ٢١٠ ، بسيدة الكاشف ، عبدالعزيز ابن مروان ، ص ٩١ ، عبد الرحمن فهمي النقود العربية ص ٤٤ .

من صور اللامبراطور هرقل روندیه قسطنطين وهر قليوناس ، وما يعنيه ذلك من إثاره وتحدي لشعور المسلمين[٢٢٢] وقد مر الاصلاح النقدي الذي قام به عبد الملك بمرحلتين قبل أن تأخذ العملات العربية صورتها الإسلامية الخالصة ، ففي المرحلة الأولى ضربت الدنانير الذهبية على غرار الفلوس البيزنطية، فحذف أعلى الصليب من وجه العملة فظهر على شكل حرفTوأحيط هذا الصليب بعبارات التوحيد المنقوشة بالخط الكوفي ،أما في الوجه الآخر فقد أبقى على صورة هرقل وولديه ، ، ثم أبقى العمود القائم على المدرج الذي يحمل الصليب في العملات القديمة فأصبح وجه الدينار يحمل صورة عبد الملك ، وأصبح ظهره منقوش بكتابة تدور على حافة الدينار نصها : بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ستة وسبعين " على أن ظهور صورة عبد الملك على الدينار أثار احتجاج جماعة من الصحابة الذين انكروا عليه التشبه بالأباطرة ، كما أثار صدور هذا الدينار رد فعل عنيف لدى البيزنطيين الذين اعتبروا ذلك ثورة على نظام النقد البيزنطي العالمي[٢٢٣] .

وقد كان دينار المرحلة الثانية هذا تمهيدا لصدور الدينار الاسلامي الخالص في عام ٧٧ هـــ وكان يتوسط الوجه العبارة الآتية : "لا إله إلا الله وحده لاشريك له " بينما كان يدور على الحافة عبارة : " محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله " ، أما الظهر فقد كان يتوسطه : " الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد " وكان يدور بالحافة "بسم الله ضرب هذا الدينار عام سبع وسبعين[٢٢٤] .

ومن أسماء العملات التي صدرت في العصر الأموي نذكر : الدنانير الدمشقية التي سكها عبد الملك بن مروان والدينار الأبيض أي النقي الذي سكه الحجاج بن يوسف الثقفي ، وتعد العملات التي ســـكها عمال بنو امية في العراق أجود العملات حتى عرفت بأسمائهم ، مثل : الهبيرية والخالدية واليوسفية[٢٢٥]

٢٢٢– البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٤١ ، البيهقي ، المحاسن والمساوى ، ج٢ ص٢٣٢–٢٣٣.

٢٢٣– ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٦١ ، عبد الرحمن فيمي ، النقود العربية ص ٤٢ .

٢٢٤– عبدالرحمن زكي ، فجر السكة الاسلامية ، ص٢٩١.

٢٢٥– الهبيرية نسبة الى عمر بن هبيرة والخالدية نسبة إلى خالد بن عبدالله القيسري اما اليوسفية فنسبة الى يوسف بن عمر .

الطــراز

عرفت مصانع النسيج بدور الطراز وهي لفظة فارسي معناها التطريز وعمل المدبج أو الشريط الكتابي الذي ينسج في لحمة الثوب وسداة ، ثــم تطورت هذه اللفظة حتى أصبحت تعني المصنع الحكومي الذي تصنع فيه الثياب[٢٢٦]

ولم يدخل الأمويون أي تغير جوهري على صـناعة النسـيج السـابقة على الاسـلام ، واكتفوا بأضـــافة الكتابة العربية التي تشـــير إلى اســـمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى الفأل أو السـجلات[٢٢٧] . وكانت الدور المعدة لنسـيج الأثواب الخلافية تسـمى دور الطراز الخاصـــة ، تميزا عن دور الطراز العامة التي تتولى صـــناعة ثياب الرعية وكان يتولى النظر على هذه الدور موظف يسـمى صـاحب الطراز و يتولى الأشراف على امور الصباغ والأنوال الحاكة الذين يعدون الحلل والبرود وغيرها ، وفي تأمين ارزاق العمال[٢٢٨]. ومن المعروف أن صـناعة النسـيج كانت قد ازدهرت في مصـر قبل الاسـلام ، وكان الأقباط هم الذين برعوا في هذه الصـناعة حتى أطلق العرب على المنسـوجات المصـرية أسـم قباطي[٢٢٩]، وقد عملوا على الأفادة منها في كسـوة الكعبة ، ومنح الخلع ، كما أدى ذلك الى نهوضـهم بهذه الصـناعة ودفعها إلى الأمام ، وقد وجدت صـناعة النسـيج أهتماماً وتشـجعياً من لدن خلفاء بني أمية ، ففي عصر سليمان بن عبد الملك شاع نوع من الترف والتأنق في الزي حيث فرض على رجاله وأهل بيته وخدمه ارتداء الموشـــى لشـــدة ولوعه بهذا النوع من النسـيج الذي تدخل فيه خيوط الذهب ويعرف أيضـــا المقصـــب ، وفي عهده عمل الوشـــي الجيد باليمن والكوفة والاســكندرية ، ولبس الناس جميعاً الوشـــي جبابا وأردية وســراويل وعمائم وقلانس[٢٣٠].

الجيش :

كان الجيش خلال القرن الأول للهجرة يتكون في أساسه من العنصـــر العربي بحكم أن العرب هم مادة الاسلام ، إلا أن ذلك لم يكن حائلاً دون مشاركة بعض العناصر غير العربية التي دخلت الاسلام كالفرس والروم وغيرهم من سكان المناطق الشرقية مثل : بخارى وسـمرقند وفرغانه ، وقد منح هؤلاء حقوق المقاتلة العرب نفسـها من حيث العطاء والرزق من أجل كسـبهم للاسـلام ، كما سـمح لهذه العناصـر بالتحالف والارتباط بأية قبلية شاءوا أو الاحتفاظ باستقلاليتهم[٢٣١]

٢٢٦– ابن خلدون المقدمة ، ص٤٧١–٤٧٢.
٢٢٧– نفس المصدر ، ص ٤٧٢.
٢٢٨– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٨٦
٢٢٩– الازرقي ، اخبار مكة ج١ص٢٦٠.
٢٣٠– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٨٧.
٢٣١– ابن سعد الطبقات ج٣ص٢٧٠.

وهناك فئة أخرى ضمن عناصر الجيش في العصر الأموي هي الموالي العتاقة أي الرقيق الذين أعتقوا من الدولة أو من قبل أسيادهم لأسباب عديدة ، ولم يكن لهذه الفئة نصيبا في العطاء بل أنهم إذا اشتركوا في المعارك مع اسيادهم الذين تربطهم بهم رابطة الولاء يأخذون نصيبهم من الغنائم فقط ، كما أن بعضهم كان يفرض لهم في العطاء إلا أن عطاءهم كان أقل من عطاء المقاتلة العرب ، ومن الملاحظ أن السلطة الأموية اتجهت الى زياة عطاء هذ الفئة من الموالي[٢٣٢]

والجدير بالذكر أن المؤسسة العسكرية العربية الاسلامية طوال فترة الاسلام كانت تعتمد على مبدأ الأمة المقاتلة الذي اثبت فاعلية كبيرة خلال عصر النبوة والخلافة الراشدة ، إذ أن المقاتلين كانوا يقتلون من أجل العقيدة الاسلامية ويعدون ذلك جهاداً في سبيل الله لنشر الاسلام وتوسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية . أما في العصر الأموي فقد حرص الخلفاء وولاتهم على الامصار على أن يربطوا مصلحة القبائل العربية المقاتلة ولاسيما في بلاد الشام بمصلحة القبائل ، غير أن نجاح السلطة المركزية في الاقاليم البعيدة عن مركز الدولة كان يتوقف الى حد كبير على خلق الظروف والاوضاع التي تحفز المقاتلين على المشاركة في الحرب وذلك من خلال توثيق العلاقة الجيدة بين الولاة ورؤساء القبائل هناك[٢٣٣]

كذلك عمد خلفاء بني أمية الى انتهاج سياسة خاصة في الشام ، فجعلوا في كل جند من بلاد الشام قبيلة معينة فسكن في جند قنسرين قبائل قيسية في غالبيتها ، أما جند دمشق فقد كانت غالبة عليها قبائل كلب وجذام . في حين كانت اليمانية غالبة على جند حمص ، وقد كان لهذا الاجراء أثره في إبعاد القبائل ولو لفترة محدودة عن الصراعات الداخلية ومكنت الخلفاء الأمويين أن يحفظوا التوازن بين هذه القبائل . وقد أشار الطبري الا أن بعض خلفاء بين أمية أو ولاتهم قد قاموا محاولات لتغيير التنظيم العسكري المعمول به واصلاحه عن طريق دمج القبائل وربطها برابطة جديدة أكثر قوة من رابطة القبلية ، فذكر ان الوالي الأموي أسد القسري حاول سنة ١٠٧ هـ نقل الجند من البروقان الى بلخ واسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسيم القبلي حيث كان الجند في البروقان منقسمين الى اخماس[٢٣٤] . كذلك بذل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جهودا كبيرة من أجل التخفيف من أثر النفوذ القبلي عندما أمر نصر بن سيار بن عبد الرحمن بأن يسقط من الديوان (العطاء) اسماء المقاتلة الذين يرفضون القتال ، وأمره بان لايضغط عليهم، وأنه سيوجه اليه مقاتلة جدد ممن يرغب في القتال .مما يؤكد أدراك الخليفة بوجود بعض المقاتلة ممن لا يرغبون في القتال وليس للسلطة أن تحملهم على ذلك[٢٣٥]

---

[٢٣٢]– فاروق عمر فوزي واخرون ، النظم الاسلامية.، بغداد ١٩٨٧ ، ١٤٧.
[٢٣٣]– فاروق عمر فوزي واخرون ،النظم الاسلامية ص ١٤٩
[٢٣٤]– الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤١ .
[٢٣٥]– فاروق عمر واخرون ، النظم الاسلامية ص١٥٠–١٥١.

ولا شـك أن غياب الأجيش النظامي الدائم والمرتبط بالدولة قد جعل الخلافة الأموية تخضـع لميول وأهواء شـيوخ القبائل في اقاليم الدول المختلفة ، غير أنه لابد من الاشارة الى وجود وحدات شبه نظامية دائمة في العصر الأموي مثل كتيبة الحرس الخاص بالخليفة التي اطلق عليها معاوية اسـم (الغمامة) ، هذا بالأضـافة الى الكتائب التي كانت ترابط في المدن المهمة كما ظهرت أواخر العصر الأموي كتائب بأسـماء قادتها وكانت أقرب الى الفرق العسـكرية النظامية وكان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد أدخل نظام الكراديس أو الكتائب في أن الوالي الأموي أسـد القسري حاول سنة ١٠٧ هـ نقل الجند من البروقان الى بلخ واسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسـيم القبلي تعبئة المقاتلة بدلا من الصـفوف ، ويعني هذا النظام من التعبئة العسكرية تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام رئيسية ؛ المقدمة ثم الميمنة وميسرة وقلب في الوسـط، ثم كتيبة في الخلف وراء الجيش تعرف بالسـاقة ، وكانت هذه الكتائب تعبأ على شكل أهله أو مربعات أو مثلثات[٢٣٦]

البحرية العربية الاسلامية (الاسطول) :

بعد نجاح العرب المسلمون في تحرير الشام و مصر تطلعوا الى مجاراة اعدائهم الروم البيزنطين في ركوب البحر و بناء الاساطيل ، و تذكر الروايات التاريخية أن معاوية بن ابي سفيان والي الشام كان قد (لح على الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بأن يأذن له بغزو بلاد الروم بحرا لقربها من الشام ، إلا أن الخليفة رفض الاستجابة لرغبة معاوية بعد أن وصف له عمرو بن العاص واليه على مصر البحر و أهواله ، فكتب الى معاوية يقول : (لا) و الذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه سلما أبدا)[٢٣٧]. والواقع أن الفضل في أنشاء أول اسطول عربي اسلامي يعـود الـى الخليفة عثمان بن عفان (رض) الذي أذن لمعاوية في غزو الروم بحرا على أن لا يحمل أحدا على ركوب البحر ، بل يجعل الأمر اختياريا ، و قد نجح معاوية في تحقيق اهدافه و سعيه لبناء اسطول بحري يضاهي به اساطيل الروم ، فقد أقبل العرب المسلمون على ركوب البحر و تفوقوا على الروم و غيرهم ، وكثر عدد السفن التي كان لها أثرها في اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية واخضاع العديد من جزر البحر المتوسط وكان لكل سفينة حربية قائد أو مقدم له القيادة ما يختص بسفينته في البحر وعليه تقع مسؤولية تدريب الجند واعدادهم للقتال ، وكان قائد الاسطول يدعى بأمير البحر[٢٣٨].

وتشير المصادر الأوربية الى أن الاصطلاحات البحرية العربية المستخدمة في أوربة لاتزال تحتفظ بعربيتها وهي شائعة على السنة البحارة في جنوب أوربا[٢٣٩]

٢٣٦– العبادي وآخرون ، الحضارة الإسلامية طبعة ١٩ ص

٢٣٧– الطبري تاريخ ج٢ص١١٤

٢٣٨– حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ص ٢٤٠.

٢٣٩ – Vonkramer – O rient Under The Caliphts. P. 356

والواقع أن معاوية بن أبي سفيان أبدى اهتماما كبيرا بالبحرية العربية منذ أن تولى الخلافة سنة ٤١ هـ فحرص على تدعيم الدفاع عن السواحل العربية ضد الغارات التي كانت تشنها الاساطيل البيزنطية ، فأولى اهتماما بتقوية وسائل الدفاع والحراسة الساحلية كالمحارس والمناور أو المنائر أو المواقيد الممتدة على طول سواحل مصر والشام فكان على المرابطين في هذه المواقع إذا ما أكتشفوا عدوا في البحر مقبلا من بعيد أشعلوا النار على قدم المناور أو المواقيد إذا كان الوقت ليلا أو ثاروا فيها الدخان إن كان الوقت نهارا بالأضافة إلى استخدامهم الطبول والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة من غارة العدو ، كذلك قام معاوية بنقل أهالي البلاد الداخلية الى هذه الجهات الساحلية ومنحهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم على ركوب البحر من جهة وتعمير البلاد وزيادة عدد سكانها من جهة أخرى ، فقد روى البلاذري أن معاوية نقل قوما من أهل بعلبك وحمص الى سواحل الاردن وصور وعكا ، كما نقل أقواما من أهل البصرة والكوفة إلى انطاكية في شمال الشام[٢٤٠] .

٢٤٠– العبادي وآخرون ، الحضارة الاسلامية ص ٢١٢ .

الحياة الفكرية في العصر الأموي

١ــ العلوم الدينية :

تعد العلوم الدينية في مقدمة العلوم التي نالت أهتمام العرب المسلمين وعنايتهم خلال العصور المختلفة ، حيث تأسست المدارس الدينية في اقاليم الدولة العربية الاسلامية ببعض الجهود التي بذلها الصحابة الذين شاركوا في حركة الفتح الاسلامي وتفرقوا في الامصار وكان أساس تلك المدارس القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الفقه ، فكان بداية التأليف العلمي عند العرب وثيقة الصلة بهذه المصادر ، وكانت المدينة والبصرة والكوفة والفسطاط ودمشق من أقدم وأهم مراكز الحركة العلمية ، ويعد علم القراءات أساس علوم التفسير ويتناول أساليب قراءة القرآن نتيجة لانعدام التشكيل والنقاط ، ومن أشهر العلماء في هذا الميدان : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني في المدينة[٢٤١] ، وعبد الله بن كثير مولى عمرو بن علقمة الكناني في (ت ١٢٠ هـ) في أبي النجود (ت ١٢٨هـ) في الكوفة ، وعبد الله مكة[٢٤٢]. وعاصم ابن بن عامر اليحصبي (ت ١١٨ هـ) في دمشق[٢٤٣].

ثم يأتي تفسير القرآن ، الذي نشأ في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تولى صحابته هذه المهمة من بعده ، باعتبارهم الواقفين على أسراره، المهتدين بهدي الرسول الكريم ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس ، وعن

الصحابة أخذ التابعون وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، فجمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير[٢٤٤].

والى جانب علم القراءات والتفسير يأتي علم الحديث ويراد به مايروى عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل ، وقد أخذ الناس الحديث من الصحابة وآل بيت الرسول الكريم ، ثم ظهرت طبقة التابعين الذين أخذوا الحديث عن الصحابة ، غير أن الحديث لم يتم تدوينه إلا أواخر القرن الأول الهجري في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ) ، وكانت الأحاديث تحفظ في صدور الرجال أو تكتب في صحائف متفرقة وخشية انتشار الاحاديث التي انتحلت لتلبية حاجة البدع والترهات فقد حرص الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز على تدوين الاحاديث الصحاح ، وأمر بعض من كان يثق بهم من علماء الحديث بجمعها ، فكتبت في دفاتر وارسلت نسخة منها إلى أقاليم الدولة العربية الاسلامية[٢٤٥]. ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري

٢٤١ــ ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٨.
٢٤٢ــ نفس المصدر ، ص٢٨
٢٤٣ــ صبحي الصالح مباحث في علوم القرآن دمشق ص ٣٣١ .
٢٤٤ــ صبحي الصالح مباحث في علوم القرآن ، ص٣٣٢ــ٣٣٣ .
٢٤٥ــ سالم ، التاريخ والمؤرخين العرب ، ص١٧٥

بالبصرة(ت ١٦١هـــ) وهو صاحب كتاب الجامع الكبير ، وابو عبد الرحمن(محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة (ت ١٥٩ هـ) صاحب كتاب السنن ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريح (ت ١٥٠هـ) ومغيرة بن مقسم الظبي (ت ١٣٦ هـ) صاحب كتاب الفرائض . وزائدة بن قدامة الثقفي (ت ٦١ هـــ) ومن مؤلفاته : كتاب السنن وكتاب القراءات وكتاب التفسير ، ومكحول الشامي (ت ١١٦هـــ) صاحب كتاب السنن في الفقه ، وكتاب المســائل في الفقه ، ومن أشــهر المحدثين في العصــر الأموي عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (١٥٩هـ) ، وله من الكتب كتاب السنن في الفقه وكتاب المسائل في الفقه[٢٤٦].

علـــوم اللغة :

اضطر العرب بعد اختلاطهم بالروم والفرس وغيرهم من الشعوب التي دخلت الاسلام الى وضع قواعد اللغة العربية للمحافظة على العربية من اللحن والخطأ ، فظهرت مدرسة النحويين في البصرة ويرأسها أبو الاسود الدؤلي الذي قيل أنه سمع قارئا يقرأ : أن الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر ، فقال : ما ظننت أن أمر الناس آل إلى لهذا[٢٤٧] فاتصل بزياد بن أبيه وطلب منه أن يعين له كاتبا يفعل ما يقول له فأتاه بكاتب من عبد القيس ، فلم يرضه ، فأتاه باخر لعله المبرد ، فقا له أبو الاسود :" إذا رايتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوق على أعلاه ، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإذا كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[٢٤٨] وقد أخذ عدد من النحاة عـــ أبي الأسود منهم يحيى بن يعمر ، وعنبسة بن معدان ، وميمون الأقـر وعيسى بن عمر الثقفي الذي كان من مشاهير رجال النحـو بـالبصر وعنه أخذ الخليل بن احمد ، وأصدر كتاب المكمل ، وممن أخذ عـ الدولي يونس بن حبيب (ت ١٨٣ هـ) ومما تجدر الاشارة اليه ظهور الفـا ومصطلحات جديدة لم يكن للعرب سابق عهد بها استحدثته الشريعة الاسلامي والنظم السياسية والادارية التي شهدتها الدولة العربية ، وقد ازدادت هذه المصطلحات بما نقله المسلمون عن الشعور الأخرى في مختلف ميادين العلوم الطب والرياضيات والفلسفة والكيمياء ، وأدى ذلك الى البحث في مفردات اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقاتها، فظهرت المعاجم العربية ، حيث يعد الخليل بن احمد الأزدي (ت ١٧٠ هـ) أول من وفق في جمع أول معجم في اللغة العربية وهو أول من استخرج العروض وحصن به اشعار العرب، وصنف الخليل كتابه المشهور المسمى العين ، كما صنف كتبا أخر منها كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب فائت العين وكتاب الايقاع[٢٤٩].

٢٤٦– ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٢٥–٢٢٧.
٢٤٧– ابن النديم ، الفهرست ص٤٠
٢٤٨– نفس المصدر ص٤٠.
٢٤٩– نفس المصدر ص٤٣.

الشعـر :

كان الخليل بن أحمد قد وضع قاموسا للغة وأنشأ علم العروض لــوزن الشعر فتطور الشعر في العصر الأموي واتخذ اتجاهات جديدة لم تكن معروف عند العرب قبل الاسلام ، فظهر شعر الغزل ، ومن أشهر شعراء هذا اللون عمر بن أبي ربيعة في الحجاز ، وجميل عذره ، كما ظهر الشعر السياسي الذي غدا وسيلة للدعاية فوجد شعراء أبلوا بلاء حسنا منهم : عبيد الله بن قيس الرقيات ، والكميت بن زيدا الاسدي[٢٥٠] كما كان هناك شعراء موالين للخلافة الأموية مثل : الفرزدق شاعر عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ويزيد ، وجرير شاعر الحجاج بن يوسف الثقفي والأخطل شاعر معاوية وخلفائه ، وقد سجل هؤلاء الشعراء المفاخرات القبلية[٢٥١]

علم الكلام :

شهد العصر الأموي عددا من الحركات الفلسفية الدينية كالجبرية التي تذهب الى القول بان ارادة الله تعالى مطلقة وقدرته تضع حدا لادارة الانسان والانسان مجبر لا اختيار له ولا قدرة . وان الله سبحان يخلق في الانسان الاعمال والافعال ولا قدرة للانسان على تغييرها ، وأول من قال بالجبرية : جهم بن صفوان الذي سمي اتباعه بالجهمية ، وقد نفت الجبرية صفات الله تعالى لأن صفات الله بشرية والبشر خلق ، والى جانب الجبرية كان هناك فرقة القدرية والمعتزلة ، وقد جاءت القدرية كرد فعل لحركة الجبرية ، ومذهبهم هو أن الانسان يملك القدرة والإرادة عن تصرفاته ، ودعمت القدرية أراءها بآيات من القرآن الكريم ، وكانت القدرية تعارض بني أمية لأنها تعتبر أن للانسان حرية الاختيار ، أما المعتزلة فهي اعظم مدارس الفكر والكلام في الاسلام ، وظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة ، ويرجع أصل هذه التسمية إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة استاذه الحسن البصري بمسجد البصرة لاختلافه معه في الرأي[٢٥٢]. تتلخص أراء المعتزلة في القول بعدم تكفير مرتكب الكبائر واعتباره في منزلة بين المنزلتين ، أي بين المؤمن والكافر[٢٥٣]، وقالوا بالقدرة أي ان الله تعالى لا يخلق أفعال الناس وانما يخلقون أفعالهم ، وانهم من أجل لذلك يثابون أو يعاقبون على عكس ما قال به خصومهم من الفقهاء الذين تنالوا في سلب الانسان قدرته وحريته في التصرف ، كما ذهــب المعتزلة الى القول بسلطان العقل وقدرته على معرفة القبيـح مــن الحسن، وقالوا بالتوحيد فنفوا أن تكون لله تعالى صفات أزلية من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر غير ذاته ، بل أن الله عالم وقادر ، وحـــي وسميع وبصير بذاته ، وقد استند المعتزلة في ارائهم هذه على قوله عز وجل : " وليس كمثله شيء " وقوله تعالى : " سبحان رب العزة عما يصفون " ، وقد اضطهد خلفاء بني

٢٥٠– مصطفى الشكعة ، الاداب في موكب الحضارة ، القاهرة ١٩٦٨ص٨٥.
٢٥١– المسعودي ، مروج ، ج٣ص٢٣١ ، سالم تاريخ الدولة العربية ص٧٠١.
٢٥٢– المسعودي ، ج٣ص٢٢٢.
٢٥٣– سالم ، الدولة العربية ص٧٠٠.

أمية المعتزلة ، ولكن بعض الخلفاء ذهبوا مذهبهم مثل يزيد بن الوليد ، ومروان بن محمد الذي لقب بالجعدي لأخذه القول بالقدر عن الجعد بن درهم المعتزلي[٢٥٤]

علم التاريـخ :

كانت المدينة مركز الدراسات التاريخية التي قامت على دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم واخبار الغزوات والهجرة الأولـــى الـــى الحبشة ثم الى يثرب ، وقد اعتمد المؤرخون الأوائل على الروايات الشفوية ، فكان كل جيل يستمد اخباره من الجيل السابق ، وكان الخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالأسانيد التي اتبعها المحدثون في روايتهم للحديث، فكان الخبر التاريخي يتألف من عنصرين : رواة الخبر على التتابع وهو ما يعرف المتن[٢٥٥]. واقدم المؤلفات بالسند أو الاسناد ، ثم نص الخبر ويسمى التاريخية التي جمعت بين الحديث والتاريخ كتب المغازي والسيرة ، وقد ازدهر هذا النوع من التأليف في المدينة باعتبارها دار الرسول صلى الله عليه وسلم ودار السنة التي عاش فيها الصحابة وسمعوا الحديث وروه الى التابعين ، وتوزع مؤرخوا السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة على ثلاث فئات : فبرز في الأولى ابان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) وعروة بن الزبير (ت ٩٢) . ومن رجال الفئة الثانية عبد الله بن أبي بشر بن حزم الانصاري (ت ١٣٥هـ) وعاصم بن عمرو بن قتادة الانصاري (١٢٠ هـ) الذي عهد اليه الخليفة عمر بن عبد العزيز الجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقب الصحابة، وعليه اعتمد ابن اسحق و الواقدي[٢٥٦] ، كذلك يأتي ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) ضمن هذه الفئة ويعد من اعظم مؤرخي المغازي والسير ويرجع الفضل اليه في تأسيس المدرسة التاريخية في المدينة[٢٥٧].

أما الفئة الثالثة فمن رجالها محمد بن اسحق (ت ١٥٢ هـ) أشهر تلاميذ الزهري وتنسب إليه أقدم كتب السيرة التي وصلتنا ، ومحمد بـــن عمر الواقدي مولى بني هاشم (ت ٢٠٧ هـ) الذي فاق ابن اسحق في دقته في المادة وفي الأسلوب مع زيادة في العناية بالتاريخ وتحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الاطار الجغرافي المتصل بالواقع[٢٥٨].

وقد ظهرت خلال العصر الأموي أيضا مدرسة أخرى للتاريخ في البصرة والكوفة تميزت بتناول الموضوعات الخاصة بالمعارك والفتوح الإسلامية ، ودراسة الانساب ، ولم تخلو هذه المدرسة من كتاب السير والمغازي منهم معمر بن راشد اليماني البصري (ت ١٥٠ هـ) ومن اشهر كتاب التاريخ والاخبار بين من اصحاب هذه

٢٥٤– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٧٠٠.
٢٥٥– احمد امين ، ضحى الاسلام ج٢ص٣١٩ ، الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٠ص٢٠.
٢٥٦– نفس المصدر ، ص٣١٩
٢٥٧– الدوري ، ص١٠١.
٢٥٨– الدوري ،ص٣٠–٣١ . سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٦٩٦–٦٩٧.

المدرسة ، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٧ هـ) الذي اهتم بكتابة الاحداث التاريخية العامة في الاسلام ، كالردة والفتوح والأحداث البارزة في خلافة علي بن ابي طالب (رض) واستشهاد الحسين (رض) ، واخبـار الازارقة الخوارج ، بالاضافة الى اهتمامه بالانساب ، ومنهم سيف بن عمر الكوفي الأسدي (ت (٩٨) ، وعوانة بن الحكم الكوفي[٢٥٩] ومما تجدر الاشارة اليه أن الأمويين قد ابدوا اهتاما بموضوع الانساب ، ووضعـت مجلات لهذا الغرض ، واشتد هذا الاهتمام مع بداية ظهور الشعوبية حيث اخذ الشعوبيون من الموالي يبحثون عن مثالب العرب في الوقت الذي كانت فيه القبائل العربية تبحث عن مفاخرها، ويعد محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) من أشهر نسابي العراق وهو من علماء الكوفة الذين اهتموا بدراسة الانساب[٢٦٠].

كما شهد القرن الأول والثاني الهجري عناية كبيرة بدراست تاريخ العرب قبل الاسلام حيث تم تدوينه خلال العصر الأموي ، ومن أبرزالمؤرخين الذين اشتهروا في هذا الميدان نذكر : عبيد بن شريه الجرهمي الذي ألف لمعاوية بن أبي سفيان كتاب الملوك واخبار الماضين وتضمن[٢٦١] الكثير من اخبار العرب في عصر ما قبل الاسلام ، وقد أدرك عبيد خلافة عبد الملك بن مروان ويأتي بعد عبيد الجرهمي مؤرخ أخر هو : وهب بن منبه (ت ١١٠ هـ) وكان يمنيا من أهل ذمار وقيل أنه من أصل فارسي ، كما قيل أنه كان يهوديا واسلم ، ومن الكتب التي تنسب اليه : كتاب الملوك المتوجه من حمير واخبارهم وقصصهم " ويغلب على اخباره طابع القصص الشعبي الخرافي كما هو الحال عند عبيد بن شريه[٢٦٢].

علوم الكيمياء والطب :

برز الاهتمام بهذه العلوم خلال وقت مبكر من الدولة الأموية ، حيث أشار المؤرخون الى أن أول من اهتم بالكيمياء خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي قيل أنه اخذ هذا العلم على يد راهب من أهل الاسكندرية يدعى مريانوس الراهب ، و كان خالد قد نزل بمصر في خلافة مروان بن الحكم ، فقد ذكر الكندي أن خالدا هذا رافق مروان في حملته على سنة ٦٥ هـ[٢٦٣] أما في مجال الطب فقد اشتهر عـدد مـن النصارى خلال العصر الأموي منهم الطبيب المعروف بابن أثال وكان طبيبا لمعاوية بن أبي سفيان و عرف بسعة معرفته بالأدوية المفردة و المركبة ، ثم طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي (تيادوق) ، و ماسر جويه اليهودي الفارسي طبيب مروان بن الحكم الذي ينسب اليه ترجمة كتاب في الطب باللغة السريانية الى العربية و هو كتاب : أهـرن بـن أعلين القسي[٢٦٤]ثم أبو الحجاج النصراني ، طبيب معاوية بن أبي سفيان ،ثم ابن أبجر السكندري طبيب عمر بن عبد العزيز[٢٦٥]

٢٥٩– ابن النديم ، الفهرست ، ص٩١.
٢٦٠– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٩٨.
٢٦١– ابن النديم ص٨٩.
٢٦٢– هاملتون جب ، دراسة في حضارة الاسلام ، بيروت ١٩٦٤ ص ١٤٤ .
٢٦٣– الكندي ، ولاة مصر ، ص ٦٥.
٢٦٤– ابن أبي أصيبعة ،عيون الانباء في طبقات الاطباء ، بيروت ١٩٦٥ص١٧١–١٧٤.
٢٦٥– ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص١١١ ، ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ص٢٤

المظاهر العمرانية :

أولا : العمائر الدينية :

أولى الأمويون اهتماما كبيرا بالمساجد الأولى التي أسست خلال عصر الخلفاء الراشدين ومن المساجد التي تم تجديد بناءها تجديدا شاملا جامع الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦) هـ) الذي استعان ببعض الصناع من أهل مصر والشام من (الروم والاقباط) ، وجعل الاساس بالحجارة وكذلك الجدران . أما الأعمدة فقد حشيت الحجارة بعمد الحديد والرصاص مدت فوقها الأسقف الخشبية مباشرة .

ثم جامع البصرة الذي تم أنشاؤه بالطين واللبن في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٤ هـ حيث أعيد بناؤه من الآجر والجص وتم تسقيفه بخشب الساج ، وأتخذت له عمد من الحجر وتم ذلك على يدي زياد بن أبيه الذي ذكر أنه بنى منارة الجامع بالحجارة وأقام المقصورة " كذلك تناولت حركة التجديد هذه جامع الكوفة الذي بني سنة ١٧ هـ حيث تم تجديد بناءه سنة ٥١ هـ على يد زياد بن أبيه أيضا الذي زاد في مساحته[٢٦٦] ، وحين تولى الوليد الخلافة أمر عامله على صنعاء بتجديد جامعها ويزيد في مساحته ويحكم بناءه فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه من جهة القبلة الأولى[٢٦٧]

اما جامع عمرو بن العاص في الفسطاط فقد زيد في بنائه خلال العصر الأموي أكثر من مرة وأتخذت له أربعة مآذن خلال ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري سنة ٥٣ هـ وضعت في اركان الجامع ، وحين تولى قرة بن شريك مصر اعاد بناءه واستحدث فيه المحراب المجوف لأول مرة سنة ٩٢ هـ[٢٦٨]

٢٦٦–نفس المصدر ج٢ص٣٤٠ ، احمد فكري ، المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها (القاهرة ١٩٦١ص٢٠١).
٢٦٧– محمد بن أحمد الحجري ، مساجد صنعاء ، ص٢٤ ، صنعاء ١٣٦١ هـ(القاهرة ١٩٦١ص٢٠١).
٢٦٨– الكندي ص٦٢.

المساجد الجامعة التى أنشأت فى العصر الأموي :

الجامع الأموي بدمشق :

حرص الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك على أن يقيم مسجدا جامعا للمسلمين لا يقل عظمة عن الكنائس البيزنطية الكبرى ، فقد رأى الشام بلدا يكثر فيه النصارى لهم فيه بيعا قد بولغ في زخارفها وانتشر ذكرها مثل كنيسة القيامة وبيعتا اللد والرها ، فبادر بمفاوضة اصحاب كنيسة يوحنا المعمدان داخل معبد الاله جوبتير الدمشقي والتي كان المسلمون يصلون في جوارها وطلب اليهم التنازل عنها وعرض عليهم مالا كثيرا فلما رفضوا هذا العرض أقدم الوليد على انتزاعه قسرا ، وأمر بهدم الكنيسة والجامع القديم المقام بجوارها وبناء الجامع الذي أنجز في سنة ٨٧ هـ[٢٦٩].

قبة الصخرة :

تعد قبة الصخرة بيت المقدس من أروع العمائر الدينية التي أنشئت في العصر الأموي ، ويرجع الفضل في بنائها الى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ ، وهي بناء حجري مثمن الشكل تتوسطها الصخرة التي روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسري به عندها ليلة الأسراء فسميت القبة بذلك بقبة الصخرة . وقد أتخذت شكل بناء مثمن أقيمت فوقه قبة عالية تغطيها الفسيسفاء المزينة باللون الأخضر والذهبي ، وحملت القبة على دائرة من العقود نصف الدائرية تقوم على أعمدة قديمة جلبت من عمائر قديمة ، أرتبطت فيما بينها عند رؤوس التيجان بأوتار خشبية ضخمة ، ويفصل بين الصف الدائري للعقود التي تقوم عليها القبة والمثمن الخارجي للبناء كله مثمن من العقود التي تقوم على الاعمدة والأكتاف وقد ظل تخطيط قبة الصخرة فريدا في العمارة العربية الاسلامية في عصورها المختلفة حيث أن تصميمها يحقق الهدف الذي أقيمت من أجله وهو تحويط الصخرة المقدسة بالحرم الشريف[٢٧٠].

٢٦٩– البلاذري ، ج١ ص ٤٩(ذكر الدكتور احمد فكري أن قصة مشاطرة المسلمين والنصارى ، كنيسة يوحنا المعمدان هي مجرد أسطورة ، كما أكد أن الجامع الأموي لم يقم على نظام الكنائس أنظر : المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها ص ٢٧٤.

٢٧٠– سالم ، بيوت الله مساجد ومعاهد ، ج٢القاهرة ١٩٦٠ (كتاب الشعب رقم ٧٨.

المسجد الأقصى:

كان المسجد الجامع الأقصى قد أنشأ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في موضعه مصلى من الخشب سنة ١٦ هـ ، ثم بناه الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ هـ حسب رواية المقدسي٢٧١ ، أمـــا ابـــن الأثير فيذكر أن بناءه قد تم في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ هـ٢٧٢ .

ويتألف بيت الصـــلاة في هذا الجامع من عدة بلاطات طويلة على جدران القبلة ، وقد تهدم هذا الجامع وأعيد بناؤه في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي وقد أقيمت مساجد جامعة في أنحاء مختلفة من الدولة العربية الاسلامية في العصر الأموي نذكر منها : المسجد الجامع في القيروان وجامع الزيتونة بتونس ، و المســجد الجامع بواســط ومســجد قصــر الحير الشــرقي ، مســجد بصــري ، والمســجد الجامع بحران ، والمســجد الجامع بالاســكندرية المعروف بجامع الألف عمود وغيرها٢٧٣.

ثانيا: المنشــأت المدنية :

أظهرت الآثار الأموية من القصـــور التي أنشـــأها الخلفاء الأمويين تجاوزهم اســـتخدام الزخرفة الى استعمال التصوير ، وقد تجلى في بناء هذه القصور ميل الأمويين الأصيل الى الفن وانجذابهم نحو البادية حيث الاستمتاع بهدوء الصحراء والاستمتاع فيها بالراحة ، لذا أقام خلفاءهم معظم قصورهم على حافة البادية٢٧٤ومن القصور التي تنسب الى هشام بن عبد الملك قصر خربة : خربة المفجر الذي يقع على بعد ثلاثة أميال شمال أريحا قريبا من البحر الميت وكان قصرا شتويا تزدان جدرانه برسوم آدميه ، ويلاحظ اسم هشام مسجلا على أحد جدران القصر ، كما ينسب إلى الخليفة نفسه قصر الحيرة الغربي الواقع على بعد أربعين ميلا جنوب غرب تدمر ، وقد عثر في أطلاله على نقود عربية وتماثيل من النوع التدمري الروماني٢٧٥، كما أن هناك بقايا قصر يسمى الحير الشرقي ويقع علـــــى بعد أربعين ميلا شمال شرقي تدمر ينسب بناؤه الى هشام بن عبد الملك أيضـاً٢٧٦كذلك نسب الى الخليفة الوليد بن عبد الملك القصر المعروف بقصير عمره الذي يقع على بعد خمسين ميلا من عمان ، وهـــو بنـــاء صغير نسبيا يقع على حمام وقاعة للاستقبال ، تنفذ على الجانب الجنوبي منها غرفتان من الجانبين أشـــبه بالمخدعين ، وقد إزدانت أرض الغرف والقاعة بالفسـيفســاء التي تمثل زخارف نباتية ، أما الغرف أخرى فكانت مكســوة بالرخام ،وتزدان جدران الغرف بصـــور ملونة من النوع المعروف بالفريســـكو ، وكذلك أزدان الحمام بصور ملونة آدميه وحيوانية٢٧٧

٢٧١– المقدسي ، احسن التقاسيم ص١٦٩ ، ص٥٤.
٢٧٢– ابن الاثير ، الكامل ج٥ص٩ ، سالم ، تاريخ الدولة العربية ص٧١١.
٢٧٣– سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٧١٢.
٢٧٤– ابن الاثير ، ج٥ ص٢٦٢.
٢٧٥– الطبري ، ج٨ص١٨٠.
٢٧٦– سالم ، ص ٧٠٥.
٢٧٧– سالم ، ص ٧٠٦.

اهم مصادر ومراجع الكتاب

أولا : المصادر

١– ابن الأثير (ابو الحسن علي بن محمد الجزري) ت ٦٣٠ هـ
الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ .

٢– الازرقي (ابو الوليد محمد بن عبد الله) ت نحو سنة ٢٥٠ هـ
اخبار مكة شرفها الله ، وما جاء فيها من آثارها .

٣– ابن اسحق (ابو عبد الله محمد بن اسحق بن يسار) ت ١٥٠ هـ
أو ١٥١ هـ السير والمغازي ، نشر سهيل زكار ، بيروت .

٤– الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين) ت ٣٦٠ هـ
مقاتل الطالبيين ، النجف ١٣٥٣ هـ .

٥– البكري (ابو عبيد الله) ت ١٠٩٤ م
المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب .

٦– البلاذري (احمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ
فتوح البلدان ، بيروت ١٩٧٨

٧– انساب الأشراف : راف ، ج تحقيق محمد حميد الله .

٨– البيروني (ابو الريحان) ت١٠٤٨م
الآثار الباقية من القرون الخالية ، طبع لايبزك ١٩٢٣ .

٩–البغدادي (عبد القاهر) .
الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩١٠ م .

١٠– ابن تغرى بردي (ابو المحاسن يوسف) ت ١٤٦٩ م
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

١١– الجهشياري (محمد بن عبدوس أبو عبدالله) ت ٩٤٢ م
الوزراء والكتاب .
١٢ – ابن الجوزي (عبد الرحمن) ت ١٢٠٠ م
سيرة عمر بن عبد العزيز ، القاهرة ١٣٣١ هـ .
١٣– الحموي (ياقوت بن عبدالله) ت ١٢٢٩ م
معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ م .
١٤ – ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) ت ٩٧٧ م
كتاب صورة الأرض ، بيروت .
١٥ – الخطيب البغدادي (احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ
تاريخ بغداد ، مجموعة أجزاء بيروت .
١٦– ابن خلدون (عبد الرحمن أبوزيد) ت ٨٠٨ هـ
العبر وديوان المبتدأ والخبر .
١٧– ابن خلكان) احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ٨ اجزاء ، بيروت ١٩٧٢ .
١٨– الدينوري (ابو حنيفة احمد بن داود) ت ٨٩٥ م
الاخبار الطوال ، القاهرة ١٩٦٠ م .
١٩– الذهبي (محمد بن احمد شمس الدين) ت ٧٤٨ هـ
دول الاسلام ، حيدر آبار ١٣٦٥ هـ .
٢٠ – الرقيق القيرواني :
تاريخ افريقية والمغرب ، تونس .
٢١– ابن سعد (محمد الزهري) ت ٢٣٠ هـ
الطبقات الكبرى .

٢٢ــ السمهودي (علي نور الدين)
وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، القاهرة ١٣٣٦ هـ .
٢٣ــ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١ هـ
تاريخ الخلفاء ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
٢٤ــ الشهر ستاني (ابو الفتح محمد بن القاسم) ت ٥٤٨ هـ
الملل والنحل ، القاهرة ١٩٤٨ .
٢٥ــ ابن طباطبا (ابن الطقطقي) :
الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت (١٩٦ .
٢٦ــ الطبري (محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ
تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ١٩٧٩ .
٢٧ــ ابن عبد ربه (احمد بن محمد) ت ٩٤٠ م
العقد الفريد ، القاهرة ١٢٩٤ هـ. (ت ٢٧٦ هـ
٢٨ــ ابن عبد الحكم (ابو القاسم بن عبد الرحمن) ت ٢٧٦هـ
فتوح مصر والمغرب ، القاهرة .
٢٩ــ ابن عبد الحكم (عبدالله)
سيرة عمر بن عبد العزيز .
٣٠ــ ابن العبري (جريفوريوس) ت ١٢٨٦ م
تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨ .
٣١ــ ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،
ليفي بروفنسا .
٣٢ــ ابن عساكر (علي بن الحسن (ت ١٢٩٧٥ م : تاريخ دمشق ،
دمشق

٣٣ــ أبو الفدا (اسماعيل بن محمد بن عمر) ت ١٣٣١ م
المختصر في اخبار البشر .
٣٤ــ ابن قتيبة (ابو محمد عبيد الله بن مسلم الدينوري) ت ٢٧٩هـ
كتاب المعارف ، القاهرة ١٣٠٠ هـ .
الامامة و السياسة
٣٥ــ أبن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل) : البداية والنهاية في
التاريخ ، القاهرة ١٣٩٩ هـ ١٩٦٦ بيروت .
٣٦ــ الماوردي (ابو الحسن علي بن محمد ا ت ٤٠٥ هـ
الاحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٦٠ م .
٣٧ــ المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسينت) ٤٦ هـ
التنبيه و الاشراف بيروت ١٩٦٥ .
مروج الذهب ، بيروت ١٩٦٥ .
٣٨ــ ابن هشام ابو محمد عبد الملك) ت ٢١٣ هـ
السيرة ، القاهرة ١٩٥٥ .
٣٩ــ الواقدي (محمد بن عمر) ت ٢٠٧
فتوح أفريقية تونس ١٣١٥ هـ .
٤٠ــ اليعقوبي (احمد بن يعقوب) ت ٨١٧ م
تاريخ اليعقوبي ، بيروت ــ دار صادر .
٤١ــ أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم) ت ١٨٢ .
كتاب الخراج

المراجع العربية

٤٢– أحمد أمين :

فجر الاسلام بيروت ١٩٦٩

٤٣– احمد مختار العبادي

– في التاريخ العباسي و الاندلس بيروت
– دراسات في تاريخ المغرب و الاندلس ، الاسكندرية ١٩٦٨

٤٤– السلاوي : الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى .

٤٥– السيد عبد العزيز سالم :

تاريخ الدولة العربية بيروت ١٩٧١ .

٤٦– بروكلمان (كارل):

تاريخ الشعوب الاسلامية ، بيروت ١٩٧٩ .

٤٧– حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية .

٤٨– عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية .

٤٩– فيصل شكري ، المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ،

بيروت ١٩٧٨ .

٥٠– توفيق برو ، الدولة العربية الكبرى .

٥١– الباز العريني وآخرون : المجتمع العربي ، بيروت ١٩٦٩ .

٥٢– ناجي معروف ، اصالة الحضارة العربية ، بغداد ١٩٦٩

٥٣–المعاضيدي و آخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية .

المحتـــويـــات

الموضوع	الصفحة
مصادر تاريخ الدولة العربية الإسلامية	٤ ـ ٢٥
الفصل الأول	
خلافة معاوية بن أبي سفيان	٢٨ ـ ٣٥
خلافة يزيد بن معاوية	٣٦ ـ ٣٩
خلافة معاوية الثاني بن يزيد	٣٩ـ ٣٩
الفصل الثاني	
خلافة مروان بن الحكم	٤١ ـ ٤٢
خلافة عبد الملك بن مروان	٤٣ ـ ٥١
الفصل الثالث	
خلفاء بني أمية بعد عبد الملك بن مروان	
خلافة الوليد بن عبد الملك	٥٤ـ ٥٤
خلافة سليمان بن عبد الملك	٥٤ـ ٥٥
خلافة عمر بن عبد العزيز	٥٥ـ ٥٧
خلافة يزيد بن عبد الملك	٥٧ ـ ٥٩
خلافة هشام بن عبد الملك	٥٩ ـ ٥٢
خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك	٥٢ـ ٥٢
خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك	٥٢ـ ٥٢
خلافة مروان بن محمد	٥٢ ـ ٥٧

القصل الرابع

حركة التحرير والفتوحات العربية الاسلامية في العصر الأموي
أولا : فتوح المشرق ٥٩ _ ٧٣
ثانيا : تحرير المغرب ٧٣ _٧٦
فتح الاندلس ٧٧ _ ٧٩
ثالثا : الحرب مع الروم البيزنطيين ٧٩ _ ٨٢

الفصل الخامس

الحضارة العربية الاسلامية في العصر الأموي
اولا : النظم الادارية (الدواوين) ٨٤ _ ٩٠
الجيش ٩٠ _ ٩٢
البحرية العربية الاسلامية (الاسطول) ٩٢ _ ٩٣
الحياة الفكرية في العصر الأموي ٩٤ _٩٩
المظاهر العمراني ٩٩ _ ٩٩
المنشأت الدينية ١٠٠ _ ١٠١
المنشأت المدنية ١٠١ _ ١٠١
المصادر ١٠٢ _ ١٠٦

٩٥٣,٠٣

ج ٨٩٨ الجميلي ، رشـــيد عبد الله الدولـة العربيـة الاســـلاميـة (الخلافة الأموية) ٤١ هـــ - ١٣٢هـــ / تأليف رشيد عبدالله الجميلي – بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠ص ، ٢١٠x٢٩٧سم .

العرب – تاريخ اسلامي – العصرالاموي أ– العنوان م . و١/٢٠٠١

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١) لسنة ٢٠٠١